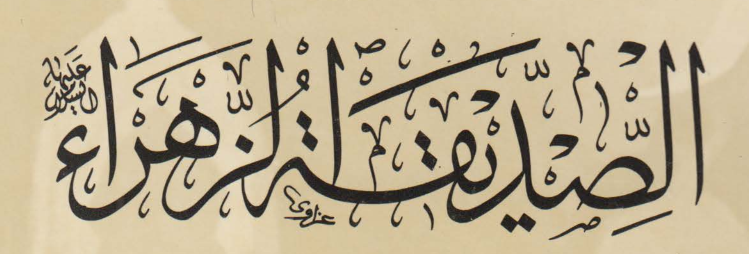
دراسات في السيرة والتاريخ

١



بين المحنة والمقاومة

تأليف

عبد الزهراء عثمان محمد


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع ايمان أبي طالب في كفة ميزان وايمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح ايمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

دراسات في السيرة والتاريخ

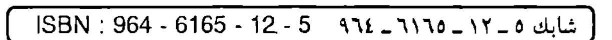
١



بين المحنة والمقاومة

تأليف

عبد الزهراء عثمان محمد

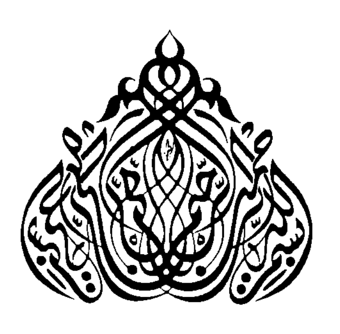

شابك ٥ ـ ١٢ ـ ٦١٦٥ ـ ٩٦٤ ISBN : 964 - 6165 - 12 - 5

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

اسم الكتاب: الصديقة الزهراء عليها السلام بين المحنة والمقاومة
تأليف: عبد الزهراء عثمان محمد
الناشر: المؤلف

الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨ م
المطبعة: ستارة
الكمية ٣٠٠٠ نسخة

مركز التوزيع
مكتبة الفراهيدي ـ قم ـ پاساژ قدس ـ پلاك ١٩١
☎ ٧٤٣٧٠٠



الاهداء

اليك ايها الامل المنتظر..

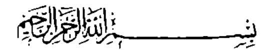
اليك ايها المنقذ الهادي..

اليك يا مهدي آل محمد ﷺ ارفع هذه الاوراق المتواضعة التي تحمل صوراً من مظلومية جدتك الزهراء عليها السلام، وجهادها من اجل دين الله عز وجل واملي ان تتلقاها بلطف، منك، بالقبول

المؤلف

شهر رمضان ١٤١٨ هـ

مقدمة الدراسة



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد ابن عبدالله خاتم الانبياء وعلى اهل بيته الهداة المهديين.. وبعد:

فقد اعتاد الدارسون لسيرة الصديقة الطاهرة فاطمة بنت محمد رسول الله ﷺ ان يسلطوا الضوء - في الغالب - على الجانب المأساوي من سيرتها المباركة، دون الاهتمام - بما يناسب - بالجانب المتعلق بجهادها في سبيل الله عزّ وجلّ، واصرارها على حماية رسالة النبي الخاتم ﷺ، ومن يمثلها بعد رحيله الى الرفيق الاعلى...

ان هذا اللون من الدراسات لسيرة الصديقة المباركة فاطمة الزهراء عليها السلام لا يساهم في تكوين صورة مناسبة عن اعظم امرأة عرفها تاريخ الانسان... صحيح ان طرح مظلومية آل محمد ﷺ يُساهم كثيراً في فضح الظلم والطغاة الذين تسببوا في ذلك الظلم الذي أصاب أهل بيت النبوة بعد وفاة النبي ﷺ، الا انه وحده لا يكوّن الصورة الكاملة عن دور أهل البيت عليهم السلام والمهام الرسالية العظمى التي نهضوا بها من اجل احقاق الحق وابطال الباطل، والتي كانت العامل الاساس في بقاء هذا الدين

وهذه الامة ، رغم كل الاضرار التي لحقت بالاسلام وآل النبي عليهم السلام وعموم المسلمين عبر العصور..

فرغم الظلم التاريخي الذي تعرض له أهل البيت عليهم السلام سواء من الحكام او المؤرخين واصحاب السير، فان ما يتاح للباحثين في السيرة من معلومات تاريخية ووثائق فيه الكفاية لتكوين صورة حية مناسبة عن اهمية الدور الذي باشره الهداة من آل البيت عليهم السلام لحماية الرسالة من آثار العدوان عليها ، رغم كل ما تحملوا من اذىً في سبيل الله تعالى...

ان اية دراسة لسيرة الصديقة الزهراء عليها السلام اذا اريد لها ان ترسم صورة مؤثرة عن حياتها العظيمة في مسيرة المسلمين لابد ان تتناول المظلومية في ابعادها الحقيقية ، مضافاً اليها المهام الكبيرة التي نهضت بها من اجل دين الله تعالى ، ورمز الحق بعد النبي صلى الله عليه وآله ووصيّه علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام .

وهكذا حاولت الدراسة التي بين ايدي القراء الكرام ان تقوم بهذه المهمة ـ ان شاء الله تعالى ـ آملين ان نكون قد وفقنا لذلك بدرجة مناسبة ونحن نعتمد على اقدم المصادر واوثق المعلومات عند المسلمين .

وبالله التوفيق .

المؤلف

طهران ـ ١٤١٨ هـ

مدخل

اقبلت الفتن*

اذا كانت الصديقة الزهراء عليها السلام قد لبثت بعد رحيل ابيها رسول الله صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يوما او ثلاثة اشهر او ستة اشهر او اقل او اكثر ـ على اختلاف في الروايات ـ فأن هذه الفترة كانت تشكل قمة المأساة بالنسبة لبيت النبوة المطهر..

فقد طفح كيل تلك الايام السوداء بالمحن والاذى والظلم الذي لم يتعرض لمثله اهل بيت نبي من انبياء الله تعالى قط..

لقد كان القرآن الكريم قد نبه الى مخاطر حالة الانقلاب على

(*) العنوان مستعار من كلام لرسول الله صلى الله عليه وآله : «اقبلت الفتن كقطع الليل المظلم..». الطبري في تاريخه ٢: ٢٤١، وكان النبي صلى الله عليه وآله : قال ذلك في آخر يوم من حياته الشريفه.

الاعقاب بالنسبة لهذه الامة بعد نبيها تنبيها موحيا، موقظا، رائعا بقوله تعالى: «**وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفأن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا، وسيجزي الله الشاكرين**»(١).

كما حذر رسول الله صلى الله عليه وآله المرة تلو الاخرى من خطر سلوك الامة الخاتمة لسبل الامم التي سلفت كاليهود والنصاري.. حتى نكاد نقطع انه لا يكاد ان يخلو كتاب من كتب الحديث والسيرة من نماذج من تلك التحذيرات الواضحة الصريحة.

لقد جمع المحدث الكبير الشيخ محمد باقر المجلسي رضوان الله عليه من هذه التحذيرات النبوية الصريحة ضمن موسوعته الحديثية «بحار الانوار» عشرات الاحاديث الصحيحة عن طرق أهل السنة والشيعة معاً(٢).

فقد روى البخاري في صحيحه ومسلم في صحيحه والشيخ المجلسي في بحاره عن ابن عباس رضوان الله عليه قال: خطب

---

(١) آل عمران ١٤٤

(٢) بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار: الشيخ محمد باقر المجلسي، المجلد الثامن والعشرون (كتاب الفتن والمحن) ط ٣ بيروت ١٩٨٣م، والشيخ المجلسي توفي عام ١١١١هـ.

رسول الله ﷺ ، فقال : «ايها الناس انكم محشورون الى الله، عراة، حفاة غرلاً، ثم تلا: كما بدأنا اول خلق نعيده، وعدا علينا انّا كنا فاعلين»[١] ، ثم قال : «الا وانّ اول الخلائق يكسى يوم القيامة ابراهيم، وانه يجاء برجال من امتي، فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب! اصحابي!، فيقال: انك لا تدري ما احدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم، فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد[٢]، فيقال: ان هؤلاء لم يزالوا مرتدين على اعقابهم منذ فارقتهم».. قال مسلم : وفي حديث وكيع ومعاذ : فيقال : انك لا تدري ما احدثوا بعدك»[٣].

وروى الترمذي بأسناده عن النبي ﷺ انه قال : «والذي نفسي بيده لتركبنّ سنن من كان قبلكم ـ وزاد رزين ـ حذو النعل بالنعل، والقذة بالقذة، حتى ان كان فيهم من اتى امّه، يكون فيكم، فلا ادري اتعبدون العجل ام لا؟»[٤]. وهناك عشرات الاحاديث الصريحة المحذرة من مغبة انقلاب الامة بعد رسول الله ﷺ ...

وضمن احاديث المستقبل، ونصوص الفتنة، والمحن التي حفظ

---

(١) الانبياء : ١٠٤ .

(٢) المائدة : ١١٧ .

(٣) البخاري باب ٨ و٤٨ من كتاب الانبياء، وصحيح مسلم كتاب الجنة رقم ٥٨ وبقية الصحاح، وبحار الانوار : ٢٨ : ٢٤ ـ ٢٥ .

(٤) صحيح الترمذي: ٤٠٨ ـ ٤٠٩، نقله الشيخ المجلسي عنه في البحار ٢٨: ٣٠.

المسلمون منها المئات بل الآلاف ضمن اسفارهم، تحتل النصوص المتعلقة بالحديث عن محنة اهل بيت النبوة، مساحة واسعة من تلك النصوص، رواها المسلمون جميعا، نذكر منها هذه النماذج:

ـ عن الامام ابي الحسن الرضا عليه السلام عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال لبني هاشم: «**انتم المستضعفون بعدي**»[١].

ـ وبنفس الاسناذ عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال لعلي عليه السلام: «**ان امتي ستغدر بك بعدي ويتّبع ذلك برّها وفاجرها**»[٢].

وفي هذه المضامين وغيرها عدد وافر من النصوص النبوية الصحيحة التي تتناول مظلومية اهل البيت عليهم السلام جميعا او اشخاصهم واحدا واحدا، فقد حملت سنة رسول الله صلى الله عليه وآله، وحديثه نصوصا تؤكد مظلومية امير المؤمنين عليه السلام وما يلقاه من الناس بعد النبي صلى الله عليه وآله، وكيفية مقتله على ايدي اشقى الآخرين، كما تؤكد نصوص اخرى مظلومية فاطمة الزهراء عليها السلام، والحسن السبط والحسين الشهيد عليهما السلام، وامثال ذلك[٣].

---

(١) البحار: ٢٨ : ٥٠ عن الشيخ الصدوق «رض» في عيون الاخبار ٢ :٦١.

(٢) نفس المصدر، والمفيد في اماليه بسند آخر ص ٢١٢.

(٣) لاحظ ذلك في البحار: ٢٨ ومجلد ٢٩ ص٤٠٠ وما بعدها، ومقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي الحنفي، ومناقب ابن المغازلي الشافعي.

ولقد لقي اهل البيت عليهم السلام كلّ ما نبه اليه رسول الله صلى الله عليه وآله ، واخبر به ، فلقد حدّث الامام محمد بن علي الباقر «عليه الصلاة والسلام» عن تلك الاحداث المريرة فقال : «**ان رسول الله صلى الله عليه وآله قُبض وقد أخبر انّا اولى الناس بالناس، فتمالأت علينا قريش حتى أخرجت الامر عن معدنه، واحتجّت على الانصار بحقّنا وحجّتنا، ثم تداولتها قريش، واحد بعد واحد، حتى رجعت الينا، فنكثت بيعتنا، ونصبت الحرب لنا، ولم يزل صاحب الامر في صعود كئود، حتى قتل، فبويع الحسن ابنه وعُوهد ثم غُدر به، واسلم، ووثب عليه اهل العراق حتى طعن بخنجر في جنبه، ونهبت عسكره، وعولجت خلاليل امهات اولاده، فوادع معاوية وحقن دمه ودماء اهل بيته، وهم قليل حقّ قليل. ثم بايع الحسين عليه السلام من اهل العراق عشرون الفا، ثم غدروا به، وخرجوا عليه، وبيعته في اعناقهم وقتلوه، ثم لم نزل ـ اهل البيت ـ نُستذل ونُستضام، ونقصى ونمتهن، ونحرم ونقتل، ونخاف ولا نأمن على دمائنا ودماء اوليائنا، ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعا يتقرّبون به الى اوليائهم وقضاة السوء وعمال السوء في كل بلدة، فحدّثوهم بالاحاديث الموضوعة المكذوبة، ورووا عنّا ما لم نقله وما لم نفعله، ليبغّضونا الى الناس، وكان عُظمُ ذلك وكُبره زمن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام، فقُتلت شيعتنا بكل بلدة، وقطعت الايدي والارجل على الظنّة، وكان من يذكر بحبّنا والانقطاع الينا سُجن او نهب ماله، او هُدمت داره، ثم لم يزل البلاء يشتدّ ويزداد، الى زمان عبيدالله**

ابن زياد قاتل الحسين عليه السلام، ثم جاء الحجاج فقتلهم كلّ قتلة، وأخذهم بكلّ ظنة وتهمة، حتى ان الرجل ليقال له: زنديق او كافر، أحبّ اليه من ان يقال: شيعة علي، وحتى صار الرجل يذكر بالخير ـ ولعلّه يكون ورعا صدوقاً ـ يحدّث بأحاديث عظيمة عجيبة، من تفضيل بعض من قد سلف من الولاة، ولم يخلق الله تعالى شيئا منها، ولا كانت ولا وقعت وهو يحسب انّها حقّ لكثرة من قد رواها ممن لم يعرف بكذب ولا بقلّة ورع»(١).

ان هذه الاحداث التي واجهها اهل بيت النبوة بعد النبي صلى الله عليه وآله كان لخصها امير المؤمنين علي عليه السلام بكلمة موجزة تقطر اسىً ومرارة: **«ما لقي احد في هذه الامة ما لقيت»**(٢).

وفي هذه الصفحات سنتناول تلك المحن التي شهدها آل النبي صلى الله عليه وآله في الفترة الزمنية الممتدة بين وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ووفاة بضعته الزهراء عليها السلام.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المعتزلي: ١١:٤٣ ـ ٤٤.
(٢) انساب الاشراف: البلاذري ٢: ١٧٧.

يومان وليلة

كانت الايام حبلى بالاحداث، وكانت الفتن تطل برأسها القبيح، تنتظر رحيل رسول الله ﷺ الى الملكوت الاعلى، لتنقض على اهداف النبي ﷺ، ومخططاته لمستقبل الدعوة الالهية، وتفتك بأهل بيته الذين ادخرهم لحفظ رسالة الله عز وجل..

ومنذ يوم الغدير الذي صدع فيه رسول الله ﷺ مبلغاً عن الله عزوجل: ان ولي امر المسلمين ومرجعهم الفكري والاجتماعي بعد نبيهم ﷺ علي ابن ابي طالب عليه السلام[1]، وذلك ظهيرة اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة الحرام من السنة العاشرة من الهجرة النبوية، بعد قفوله راجعا من حجه الميمون الى العاصمة الطيبة..

---

(١) روى حديث الغدير عشرة ومائة صحابي عن رسول الله «ص». انظر كتاب الغدير للمرحوم الشيخ عبدالحسين الاميني ١:١٤-٦٠، وطرائف السيد ابن طاووس الحلي والمراجعات للسيد شرف الدين لمعرفة مصادر الحديث.

منذ ذلك اليوم والاستعداد القرشي المنافق على اشده لافشال المشروع النبوي مهما كلف الثمن..

فقد تعاقد «الملأ» القرشي، وتعاهدوا ضمن وثيقة دونت لهذا الغرض المشبوه ان تقاوم قريش مشروع النبي صلى الله عليه وآله في النص على علي بن ابي طالب عليه السلام قائداً لمسيرة الامة بعد النبي صلى الله عليه وآله وتعمل وسعها لتخريبه، واستبداله بمشروع آخر يرضي طموح الزعامة القرشية.

لقد شهدت ساعات ما بعد خطاب رسول الله صلى الله عليه وآله واعلانه لأمرة علي بن ابي طالب عليه السلام على الناس.. لقد شهدت تلك الساعات تحركات محمومة لرجال من قريش، والتحق بهم من غيرهم، ثم عقدوا مؤتمرا مطولا فيما بعد في دار ابي بكر التي تقع خارج المدينة في قرية تعرف بالسنح ـ بعد عودتهم للمدينة ـ وتمخض الاجتماع المذكور عن كتابة اتفاق يقضي باقصاء علي عليه السلام عن ذلك الموقع، وابدال مشروع النبي صلى الله عليه وآله بمشروع آخر بعيد عن طموحات رسول الله صلى الله عليه وآله، وما اراده الله عزّ وجل.

وتفيد المعلومات التاريخية ان عدد المجتمعين ناف على الخمسين شخصاً، ثم اودعت تلك الصحيفة عند ابي عبيدة الجراح، الذي دعي بأمين الامة ـ بسبب ذلك ـ فسافر بها الى مكة المكرمة، فدفنها، عند

الكعبة حيث استخرجها الخليفة عمر بن الخطاب ايام خلافته[١]..

وحتى لو قدر ان احداً شكك في وقوع الاجتماع كما تصوره هذه المصادر التاريخية التي ذكرنا فان من المؤكد ان الخليفة عمر بن الخطاب اثار هذا الموضوع مع الصحابي عبدالله بن العباس رضي الله عنه واعترف له ان قريشاً هي التي اصرت على عدم جمع النبوة والخلافة في بني هاشم، وهذا نص حوار عمر مع ابن عباس، كما ذكرته المصادر الرسمية:

قال عمر بن الخطاب: يا ابن عباس اتدري ما منع قومكم منكم، بعد محمد صلى الله عليه وآله ؟

قال ابن عباس: فكرهت ان أُجيبه، فقلت: ان لم اكن ادري فأَنْ امير المؤمنين يدريني!

فقال عمر: كرهوا ان يجمعوا لكم النبوة والخلافة فتبجحوا على قومكم بجحاً بجحاً، فاختارت قريش لانفسها فأصابت ووفقت.

---

(١) نص الوثيقة اشار اليها الشيخ الطوسي ت ٤٦٠ هـ في تلخيص الشافي مجلد ٢: ٩١-٩٢ وذكر محققه العلامة السيد حسين بحر العلوم نص الوثيقة في الهامش - ٩٤، واشار الشيخ الكليني للصحيفة المذكورة في الكافي ١٧٩:٨ كما ذكرها الشيخ الصدوق في معاني الاخبار: ٤١٢ في (نوادر المعاني) نقلا عن الامام ابي عبدالله الصادق «ع»، والشيخ المجلسي: بحار الانوار ٢٨: ٣٣ و١١٧.

قال ابن عباس: يا امير المؤمنين، ان تأذن لي في الكلام وتمُط عني الغضب تكلمت.

قال عمر: تكلم.

قال ابن عباس: اما قولك يا امير المؤمنين: اختارت قريش لانفسها فأصابت ووفقت، فلو ان قريشا اختارت لانفسها حين اختار الله لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود، واما قولك: انهم ابوا ان تكون لنا النبوة والخلافة فأن الله عزّ وجلّ، وصف قوما بالكراهة قال: «ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط اعمالهم».

فقال عمر: هيهات والله يا ابن عباس قد كانت تبلغني عنك اشياء كنت اكره ان اقرك عليها فتزيل منزلتك مني.

قال ابن عباس: ما هي يا امير المؤمنين؟ فان كانت حقا فما ينبغي ان تزيل منزلتي منك، وان كانت باطلا فمثلي اماط الباطل عن نفسه.

فقال عمر: بلغني انك تقول: انما صرفوها عنّا حسدا وبغيا وظلما.

فقال ابن عباس: اما قولك يا امير المؤمنين: ظلما، فقد تبين للجاهل والحليم، واما قولك: حسدا، فان آدم حسد ونحن ولده المحسدون.

فقال عمر: هيهات، هيهات، أبت والله قلوبكم يا بني هاشم الا حسدا لا يزول.

فقال ابن عباس: مهلا يا امير المؤمنين، لا تصف قلوب قوم اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا بالحسد والغش، فان قلب رسول الله ﷺ من قلوب بني هاشم.

فقال عمر: اليك عني يا ابن عباس.

فقال ابن عباس: افعل. فلما ذهبت لاقوم استحيى مني.

فقال عمر: يا ابن عباس مكانك! فوالله اني لراع لحقك محب لما سرّك.

فقال ابن عباس: يا امير المؤمنين: انّ لي عليك حقا وعلى كل مسلم، فمن حفظه فحظّه اصاب، ومن اضاعه فحظّه اخطأ ثم قام فمضى[١].

ومن الجدير بالذكر ان كثيراً من المؤرخين والرواة ذكروا ان الصحابي ابي بن كعب كان يردد باستمرار في مسجد النبي ﷺ ـ بعد عملية السقيفة ـ ويقول: الا هلك اهل العقدة، والله ما آسى عليهم، انما آسى على من يضلون من الناس، فقيل له: من هؤلاء اهل العقدة؟ وما عقدتهم؟ فقال: قوم تعاقدوا بينهم ان مات رسول الله لم يورثوا احدا

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الاثير: ٣:٦٣ـ٦٥، وتاريخ الطبري ط١ مصر ٥:٣٠ وط. اوروبا١: ٢٧٦٨ـ٢٧٧٢، وغيرها.

من اهل بيته، ولا ولوهم مقامه، اما والله لئن عشت الى يوم الجمعة لاقومنّ فيهم مقاما ابين به للناس امرهم.

على ان ابياً هذا مات يوم الاربعاء(١)!، قبل افشاء ذلك السر الذي غفل عنه الكثيرون.

وقد تسارع العمل المضاد للخطة النبوية المباركة فعمل اولئك ومن ورائهم حزبهم والمغفلون من المسلمين كل وسعهم لمواجهة اية محاولة من رسول الله صلى الله عليه وآله للحيلولة دون تنفيذ خطتهم التي باشروا بتنفيذها ورسول الله صلى الله عليه وآله حي بينهم، ونذكر من ذلك ما يلي:

١ ـ لمّا دعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله الى غزو الروم بقيادة اسامة بن زيد، تثاقلوا، ولاذوا بالاعذار، وكان يحرضهم على الرحيل، ويشد الراية بيده الشريفة، ويلعن المتخلف عن جيش اسامة، ومهمته بيد ان الصحابة تخلفوا عن امر رسول الله صلى الله عليه وآله وفي طليعة المتخلفين، بل والمحرضين على ذلك: اصحاب الوثيقة انفسهم(٢)، واستمر التباطؤ اياما، حتى مرض رسول الله صلى الله عليه وآله مرضه الذي توفي فيه، فعاد جيش اسامة الى المدينة(٣)..

---

(١) البحار ٢٨ هامش ١١٧ـ١٢٢ عن مسند احمد وحلية الاولياء وطبقات ابن سعد وشرح ابن ابي الحديد لنهج البلاغة وغيرهم فراجع.

(٢)انظر تفصيل سرية اسامة في تاريخ الطبري ٢:٤٢٩ وغيره.

(٣) نص الحادثة في المراجعات للسيد شرف الدين: ٢٨٤ ـ ٢٨٥ عن الطبقات

٢ ـ وحين اصر رسول الله ﷺ ان يكتب لامته كتابا لن تضل بعده ابدا، وهو في آخر ساعات حياته ملخصا حقيقة الموقف وطبيعة التكليف الذي ينبغي التمسك به منعته تلك الجماعة من كتابة ذلك الكتاب حتى شككوا بوعي النبي ﷺ وعصمته، حيث قال زعيمهم الصحابي عمر: ان النبي يهجر.. حسبنا كتاب الله!، فقد شهر الصحابي عمر بن الخطاب القرآن سلاحا في وجه النبي ﷺ وتبعه الكثيرون، ورغم احتجاج النساء، وشطر من الرجال على عملية منع النبي ﷺ من كتابة ذلك الكتاب، الحامل «لخلاصة الموقف»، فان القوم اثاروا حالة من اللغط، والضجيج والتشكيك مما جعل النبي ﷺ يتوقف عن الكتابة لعلمه انه لا جدوى بعد من كتابة ذلك الكتاب طالما وقع التشكيك بوعي النبي ﷺ(١).

ومن المناسب ان نذكر ان الصحابي عمر بن الخطاب يقول حول ذلك الموقف ما يلي اثناء حوار لهمع حبر الامة عبدالله بن عباس ﷺ:

عمر: يا ابن عباس كيف خلفت ابن عمك؟

← والسيرة الدحلانية والحلبية وابن الاثير وغيرها.

(١) اقرأ نصوص هذه المأساة في صحيح البخاري كتاب العلم ١:٢٢، والبخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب كراهية الخلاف وباب «قول المريض: قوموا عني» في كتاب المرضى وباب ترك الوصية من كتاب الوصية في صحيح مسلم وغيره من المصادر.

قال ابن عباس: فظننته يعني عبدالله بن جعفر، فقال: فقلت: خلفته مع اترابه.

قال عمر: لم اعن ذلك انما عنيت عظيمكم اهل البيت.

قال ابن عباس: فقلت: خلفته يمتح بالغرب وهو يقرأ القرآن.

قال عمر: يا عبدالله عليك دماء البدن ان كتمتنيها هل بقي في نفسه شيء من امر الخلافة؟

قال ابن عباس: قلت: نعم.

قال عمر: ايزعم ان رسول الله نصّ عليه؟

قال ابن عباس: قلت: وازيدك سألت ابي عما يدعي ـ من نصّ رسول الله عليه بالخلافة ـ فقال: صدق.

فقال عمر: كان من رسول الله في امره ذرو[1] من قول لا يثبت حجة، ولا يقطع عذرا، ولقد كان يربع[2] في امره وقتا ما، ولقد اراد

(١) الذرو ـ بالكسر والضم: المكان المرتفع والعلو مطلقا، والمعنى انه كان من رسول الله في أمر علي علو من القول في الثناء عليه، وهذا اعتراف من عمر كما لا يخفى.

(٢) هذا مأخوذ من قولهم ربع الرجل في هذا الحجر اذا رفعه بيده امتحانا لقوته، يريد ان النبي كان في ثنائه على علي بتلك الكلمات البليغة، يمتحن الامة في انها هل تقبله خليفة ام لا.

في مرضه ان يصرّح باسمه فمنعته من ذلك... الحديث»[١].

وهكذا هيأت تلك الجماعة، كافة الاجواء بدعم قرشي فاعل لتنفيذ خطتها السوداء.. حتى اذا فاضت نفس النبي ﷺ باشروا فورا الى عقد اجتماع علني في سقيفة بني ساعدة، ولم يمض على وفاة رسول الله ﷺ بعد الا ساعة من نهار، فتركوا جثمانه الشريف لاهله، وسارعوا لتقسيم تراثه..

وعند وفاة النبي ﷺ كان الصحابي ابو بكر غائباً في منزله في السنح، والصحابي عمر حاضر مع من حضر، الا ان عمراً اصر ان رسول الله ﷺ لم يمت ابدا، وكان يتهم كل من يقول بوفاة رسول الله ﷺ بالكذب والنفاق، بل انه شهر سيفه، وهدد بضرب من يقول بموت النبي ﷺ حتى قال للمغيرة بن شعبة حين رآه يقول: مات والله رسول الله! قال له: كذبت ما مات رسول الله، ولكنك رجل تحوسك فتنة![٢]

ثم راح يردد: ان رجالا من المنافقين يزعمون ان رسول الله توفي،

---

(١) اخرجه الامام ابو الفضل احمد بن ابي طاهر في كتابه تاريخ بغداد بسنده المعتبر الى ابن عباس، واورده علامة المعتزلة في احوال عمر من شرح نهج البلاغة، ص٩٧ من مجلده الثالث. وقد ذكره الامام شرف الدين في كتابه المراجعات ٢٩٣-٢٩٤ مراجعه ١٠٦.

(٢) مسند احمد بن حنبل ٦:٢١٩

ان رسول الله ما مات، ولكنه ذهب الى ربه فليقطعن ايدي رجال، وارجل من يزعمون انه مات![١]

ورغم ان عبدالله بن ام مكتوم قد تلا عليه هذه الآية: «**وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفأن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ..**» آل عمران ١٤٤، لم يغير الصحابي عمر موقفه...[٢].

ورغم ان العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه اخبر ان الرسول صلى الله عليه وآله قد توفي وانه يعرف علامات الموت في وجوه بني عبد المطلب[٣] ظل عمر عند موقفه متحمسا، يجهر بما يثيره حول وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله حتى ازبد شدقاه[٤].

.. بيد ان موقف عمر تغير رأساً على عقب حين قدم ابو بكر من السنح، وتلا عليه هذه الآية نفسها: «**وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل..**»[٥].

(١) تاريخ الطبري ط اوروبا ١٨١:١. والطبري ٢٤٢:٢ ط بيروت.
(٢) ابن سعد في الطبقات ٢ / ق٢ / ٥٧، وكنز العمال ٤: ٥٣ ح١٠٩٢، وابن كثير في تاريخه ٢٤٣:٥ وغيرهم.
(٣) نفس المصادر.
(٤) انساب الاشراف: ٥٦٧ وغيره.
(٥) طبقات ابن سعد ٢ / ق٢ / ٥٤، والطبري ٨١٧:١ وما بعدها، وابن كثير ٢٤٣:٥، والسيرة الحلبية ٢٩٣:٣، وابن ماجه حديث ١٦٢٧ وغيرها

اجتماع السقيفة وتطور الاحداث

يرى بعض المتابعين لاحداث تلك المرحلة، ان الاجتماع الذي جرى في سقيفة بني ساعدة من قبل الانصار لم يكن في بدايته اجتماعاً سياسياً، وانما كان لقاء عفوياً غير مخطط له اساساً، وانما تواجد الانصار هنا لزيارة سعد بن عبادة ـ من اكبر زعماء الانصار ـ الذي كان مريضا، فالتواجد اساساً كان لزيارة شخصية انصارية مريض، وبقدوم ابي بكر وعمر وابي عبيدة الجراح ومن معهم تحول اللقاء الى اجتماع سياسي وجرى فيه ما جرى، بينما يرى آخرون ان ذلك اللقاء الجماهيري للانصار انما كان اساساً اجتماعاً سياسياً استثنائيا للانصار، يرجح بعض دارسي السيرة انه كان يهدف الى حماية مستقبلهم عندما علموا ان المنطق القبلي هو الذي سيتحكم في ادارة شؤون المسلمين، وليس المنطق الاسلامي الذي وفره رسول

الله صلى الله عليه وآله لمسيرة الامة من خلال قيادة الامام علي بن ابي طالب عليه السلام لها حيث نصّ عليه في مناسبة واخرى، والا فان الانصار مدركون ان تركيبتهم الحضارية، وتجربتهم التاريخية، ووضعهم العشائري غير المتماسك (كخزرج واوس)،لا تؤهلهم لقيادةالمسلمين دون قريش...

الا ان الذي يبدو ان الانصار عندما علموا من خلال التحركات القرشية والمواقف والمعلومات ان المشروع الالهي سوف لن ينفذ وان علي بن ابي طالب عليه السلام المعول عليه ان يواصل مسيرة النبي صلى الله عليه وآله في امته، تمّ الاتفاق من قبل زعماة الحزب القريشي على اقصائه، سارعوا لعقد ذلك الاجتماع من اجل فرض حالة من الامر الواقع على قريش، الاّ ان مشروعهم قد فشل في بدايته، وتغير مسار الاحداث لصالح الزعامة القرشية التي كانت تخطط لقيادة مستقبل المسلمين منذ حين، فلمّا تناهى خبر اجتماع السقيفة الى اسماع الزعامة القرشية سارع ابو بكر وعمر وابو عبيدة الجراح وغيرهم لتوجيه مسار الاجتماع بما يحقق اهداف قريش، ونفضل هنا ان نفتح المجال للوثائق التاريخية لتعكس ما جرى في الاجتماع حتى نهايته، واختيار الصحابي القرشي ابي بكر التيمي خليفة، وقائدا للمسلمين:

روى الطبري[١] في ذكر خبر السقيفة وبيعة ابي بكر قائلا:

---

(١) نقلنا هذا الخبر ملخصا من تاريخ الطبري في ذكره حوادث بعد وفاة

اجتمعت الانصار في سقيفة بني ساعدة وتركوا جنازة الرسول يغسله اهله، فقالوا: نولّي هذا الامر بعد محمد سعد بن عبادة، واخرجوا سعدا اليهم وهو مريض...

فحمد الله وأثنى عليه، وذكر سابقة الانصار في الدين وفضيلتهم في الاسلام، واعزازهم للنبي واصحابه وجهادهم لاعدائه، حتى استقامت العرب، وتوفّي الرسول وهو عنهم راض، وقال: استبدّوا بهذا الامر دون الناس، فأجابوه بأجمعهم ان قد وفّقت في الرأي، واصبت في القول. ولن نعدو ما رأيت، نولّيك هذا الامر. ثم انهم ترادّوا الكلام بينهم، فقالوا: فان ابتْ مهاجرة قريش فقالوا: نحن المهاجرون وصحابة رسول الله الاولون، ونحن عشيرته واؤلياؤه، فعلام تنازعوننا هذا الامر بعده؟ فقالت طائفة منهم: فانّا نقول اذاً: منّا امير ومنكم امير. فقال سعد بن عبادة: هذا اول الوهن[١].

← الرسول، وما كان من غير الطبري أشرنا اليه في الهامش، وقد اورد العلامة السيد مرتضى العسكري، تفصيل الخبر في كتابه عبدالله بن سبأ الجزء ١.

(١) الطبري في ذكره لحوادث سنة ١١ هـ، ٢: ٤٥٦، وط. اوربا ١: ١٨٣٨، عن عبدالله بن عبد الرحمن بن ابي عمرة الانصاري. وابن الاثير ٢: ١٢٥. وتاريخ الخلفاء لابن قتيبة ١: ٥، قريب منه. وابو بكر الجوهري في كتابه السقيفة في الجزء الثاني من شرح ابن ابي الحديد في خطبة (ومن كلام له في معنى الانصار).

سمع ابو بكر وعمر بذلك، فأسرعا الى السقيفة مع ابي عبيدة بن الجراح وانحاز معهم اسيد بن حضير وعويم بن ساعدة وعاصم بـن عدي من بني العجلان(١).

تكلّم ابو بكر ـ بعد ان منع عمر عن الكلام ـ فحمد الله واثنى عليه، ثم ذكر سابقة المهاجرين في التصديق بالرسول دون جميع العرب، وقال: (فهم اول من عبدالله في الارض وآمن بالرسول، وهو أولياؤه وعشيرته واحقّ الناس بهذا الامر مـن بـعده، ولا يـنازعهم ذلك الاّ ظالم). ثم ذكر فضيلة الانصار، وقال: (فليس بعد المهاجرين الاوّلين عندنا بمنزلتكم، فنحن الامراء، وانتم الوزراء).

فقام الحباب بن المنذر وقال: يا معشر الانـصار امـلكوا عـليكم امركم فان الناس في فيئكم وفي ظلّكم، ولن يجترىء مجترىء على خلافكم، ولا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم، وينتقض عليكم امركم، فان ابى هؤلاء الاّ ما سمعتم، فمنّا امير ومنهم امير.

فقال عمر: هيهات! لا يجتمع اثنان فـي قـرن.. والله لا تـرضى العرب ان يؤمّروكم ونبيّها من غيركم، ولكنّ العرب لا تمتنع ان تولّي امرها من كانت النبوة فيهم، وولي امورهم منهم. ولنا بذلك على من أبى الحجة الظاهرة والسلطان المبين، من ذا ينازعنا سلطان مـحمد

---

(١) سيرة ابن هشام ٤: ٣٣٩.

وامارته، ونحن اولياؤه وعشيرته[١] إلاّ مدل بباطل او متجانف لاثم او متورّط في هلكة.

فقام الحباب بن المنذر وقال: يا معشر الانصار، املكوا على ايديكم ولا تسمعوا مقالة هذا واصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الامر، فان ابوا عليكم ما سألتموهم، فأجلوهم عن هذه البلاد، وتولّوا عليهم هذه الامور. فأنتم والله احقّ بهذا الامر منهم، فإنّه بأسيافكم دان لهذا الدين من لم يكن يدين به. انا جُذَيْلها المُحَكّك[٢] وعُذَيْقُها المُرجّب[٣]. أما والله لو شئتم لنُعيدنّها جَذَعَة[٤].

قال عمر: اذا يقتلك الله.

---

(١) لمّا سمع علي بن أبي طالب هذا الاحتجاج من المهاجرين قال: احتجّوا بالشجرة واضاعوا الثمرة. نهج البلاغة كلامه رقم ٦٧ وشرحه لابن ابي الحديد، ط. الاولى، ٢: ٢.

(٢) جُذيلها، تصغير الجذل: اصل الشجرة. والمحك: عود ينصب في مبارك الابل لتتمرّس به الابل الجربى، أي قد جربتني الامور ولي رأي وعلم بهما كما تشتفي هذه الابل الجربى بالجذل وصغره على جهة المدح.

(٣) عذيق: تصغير العذق، وهي: النخلة. المرجب: ما جعل له رجبة، وهي: دعامة تبتنى من الحجارة حول النخلة الكريمة اذا طالت وتخوفوا عليها ان تنقعر في الرياح العواصف.

(٤) اعدت الامر جذعاً، اي جديدا كما بدأ، واذا اطفئت حرب بين قوم فقال بعضهم: ان شئتم اعدناها جذعة، أي: اول ما يبتدأ فيها.

قال: بل إيّاك يقتل.

فقال ابو عبيدة: يا معشر الانصار، انكم كنتم أوّل من نصر وآزر، فلا تكونوا أوّل من بدّل وغيّر.

فقام بشر بن سعد الخزرجي ابو النعمان بن بشير فقال: يا معشر الانصار، إنّا والله لئن كنّا أولي فضيلة في جهاد المشركين، وسابقة في هذا الدين، ما أردنا به الاّ رضا ربّنا وطاعة نبيّنا والكدح لانفسنا؛ فما ينبغي لنا ان نستطيل على الناس بذلك، ولا نبتغي به من الدنيا عرضا، فإنّ الله وليّ النعمة علينا بذلك، ألا إنّ محمداً صلى الله عليه وآله من قريش، وقومه أحقّ به وأولى، وأيم الله لا يراني الله انازعهم هذا الامر ابداً فاتّقوا الله، ولا تخالفوهم، ولا تنازعوهم.

فقال ابو بكر: هذا عمر، وهذا ابو عبيدة، فأيّهما شئتم فبايعوا. فقالا: والله لا نتولّى هذا الامر عليك... الخ[1].

«وقام عبدالرحمن بن عوف، وتكلّم فقال: يا معشر الانصار انّكم وان كنتم على فضل، فليس فيكم مثل ابي بكر وعمر وعلي. وقام المنذر بن الارقم فقال: ما ندفع فضل من ذكرت، وان فيهم لرجلا لو طلب هذا الامر لم ينازعه فيه احد ـ يعني عليَّ بن أبي طالب»[2].

---

(١) وللحوار بقية لم نسجله طلباً للإختصار.

(٢) رواه اليعقوبي بعد ذكر ما تقدم في تاريخه ٢: ١٠٣، والموفقيات للزبير بن

«فقالت الانصار او بعض الانصار: لا نبايع إلاّ عليا»(١).

قال عمر: فكثر اللغط وارتفعت الاصوات حتى تخوّفت الاختلاف فقلت: ابسط يدك لأبايعك(٢). فلما ذهبا ليبايعاه، سبقهما اليه بشير ابن سعد فبايعه، فناداه الحباب بن المنذر: يا بشير بن سعد عَقَقْتَ عقاق(٣)! أنفست على ابن عمّك الامارة؟ فقال: لا والله، ولكنّي كرهت ان انازع قوماً حقّاً جعله الله لهم. ولمّا رأت الاوس ما صنع بشير بن سعد وما تدعو اليه قريش وما تطلب الخزرج من تأمير سعد ابن عبادة، قال بعضهم لبعض ـ وفيهم أُسيد بن حُضير وكان أحد النقباء: والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرّة، لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة، ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيبا ابدا، فقوموا فبايعوا ابا بكر(٤).

→ بكار ص٥٧٩.

(١) في رواية الطبري ٣: ٢٠٨ (وط. واروبا ١: ١٨١٨) عن ابراهيم، وابن الاثير ٢: ١٢٣: «ان الانصار قالت ذلك بعد ان بايع عمر ابا بكر».

(٢) عن سيرة ابن هشام ٤: ٣٣٦. وجميع من روى حديث الفلتة، راجع بعده حديث الفلتة في ذكر رأي عمر في بيعة ابي بكر.

(٣) الطبري ط. اوروبا ١: ١٨٤٢. وفي رواية ابن ابي الحديد: عقّك عقاق.

(٤) وفي رواية أبي بكر في سقيفته: لمّا رأت الاوس أنّ رئيسا من رؤساء الخزرج قد بايع قام أسيد بن حضير ـ وهو رئيس الأوس ـ فبايع حسدا لسعد ←

فقاموا اليه فبايعوه، فانكسر على سعد بن عبادة وعلى الخزرج ما كانوا اجمعوا له من أمرهم.. فأقبل الناس من كلّ جانب يبايعون ابا بكر، وكادوا يطأون سعد ابن عبادة.

فقال أناس من اصحاب سعد: اتّقوا سعدا لا تطأوه.

فقال عمر: اقتلوه، قتله الله.

ثم قام على رأسه فقال: لقد هممت ان أطأك حتى تندُر عُضوك. فأخذ قيس بن سعد بلحية عمر فقال: والله لو حصصت منه شعرة ما رجعت وفيك واضحة.

فقال ابو بكر: مهلاً يا عمر! الرفق ها هنا ابلغ.

فأعرض عنه عمر[١].

وقال سعد: اما والله لو أن بي قوة ما، أقوى على النهوض لسمعت منّي في اقطارها وسككها زئيرا يُجحرُك وأصحابك. اما والله اذاً لألحقتك بقوم كنت فيهم تابعاً غير متبوع. احملوني من هذا المكان.

← ومنافسة له ان يلي الامر. راجع شرح النهج ٢: ٢ في شرحه (ومن كلام له في معنى الانصار).

(١) ان هذا الموقف يكشف تكامل سياسة الخليفتين بين الشدة واللين وما الى ذلك !

فحملوه فأدخلوه في داره[١].

وروى أبو بكر الجوهري: أنّ عمر كان يومئذ ـ يعني يوم بويع ابو بكر ـ محتجزاً يهرول بين يدي أبي بكر ويقول: ألا إنّ الناس قد بايعوا ابا بكر...الخ[٢].

بايع الناس أبا بكر وأتوا به المسجد يبايعونه فسمع العبّاس وعليّ التكبير في المسجد ولم يفرغوا من غسل رسول الله ﷺ بعد.

فقال عليّ: ما هذا؟

قال العباس: ما رئي مثل هذا قطّ!! أما قلت لك[٣]؟!

---

(١) الطبري ٣: ٤٥٥ ـ ١٥٩، وط. اوربا ١٨٤٣. (وتندر عضوك) كذا جاء ويعني تسقط اعضاؤك.

(٢) في كتابه السقيفه، راجع ابن أبي الحديد ١:١٣٣. وفي ص٧٤ منه بلفظ آخر.

(٣) ابن عبدربّه في العقد الفريد ٤: ٢٥٨. وأبو بكر الجوهري في كتابه السقيفة برواية ابن ابي الحديد عنه في ١: ١٢٣، ويروي تفصيله في ص٧٤ منه. والزبير بن بكار في الموفقيات ص٥٧٧ ـ ٥٨٠ و٥٨٣ و٥٩٢. كما يروي عنه ابن ابي الحديد في شرح النهج ٢: ٢ ـ ١٦. في شرحه: (ومن كلام له في معنى الانصار).

أهل البيت عليهم السلام يفاجؤون بالحدث!

وجاء البراء بن عازب فضرب الباب على بني هاشم وقال:
يا معشر بني هاشم! بويع ابو بكر.

فقال بعضهم لبعض: ما كان المسلمون يحدثون حدثا نغيب عنه ونحن أولى بمحمد.

فقال العبّاس: فعلوها وربّ الكعبة!

وكان عامّة المهاجرين وجلّ الانصار لا يشكّون أنّ عليّاً هو صاحب الامر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله[1].

وكان المهاجرون والانصار لا يشكّون في عليّ.

روى الطبري: أنّ (اسلم) أقبلت بجماعتها حتى تضايق بهم السكك

(١) الموفقّيات للزبير بن بكار، ص ٥٨٠.

فبايعوا ابا بكر فكان عمر يقول:

«ما هو إلاّ أن رأيت أسلم فأيقنت بالنصر»(١).

فلمّا بويع ابو بكر اقبلت الجماعة التي بايعته تزفّه زفّا الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فصعد على المنبر ـ منبر رسول الله صلى الله عليه وآله ـ فبايعه الناس حتى امسى، وشُغلوا عن دفن رسول الله حتى كانت ليلة الثلاثاء(٢).

---

(١) الطبري ٢: ٤٥٨، وط. اوربا ١: ١٨٤٣. وفي رواية ابن الاثير ٢: ٢٤٢: (وجاءت اسلم فبايعت). وقال الزبير بن بكار في الموفّقيات برواية النهج ٦: ٢٨٧: «فقوي بهم ابو بكر» ولم يعيّنا متى جاءت اسلم، ويقوى الظنّ أن يكون ذلك يوم الثلاثاء.

(٢) الموفّقيات ص٥٧٨. والرياض النضرة ١: ١٦٤. وتاريخ الخميس ١: ١٨٨.

البيعة العامة للخليفة

ولما بويع أبو بكر في السقيفة وكان في الغد، جلس ابو بكر على المنبر، فقام عمر فتكلّم قبل أبي بكر فحمد الله وأثنى عليه...، وذكر أنّ قوله بالامس لم يكن من كتاب الله ولا عهداً من رسوله ولكنّه كان يرى ان الرسول سيدبّر امرهم ويكون آخرهم. ثم قال:

وإنّ الله قد أبقى فيكم كتابه الذي به هدى رسوله. فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له. وإنّ الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله ﷺ ثاني اثنين اذ هما في الغار؛ فقوموا فبايعوه.

فبايع الناس أبا بكر بيعته العامة بعد بيعة السقيفة.

وفي البخاري: (وكان طائفة منهم قد بايعوه قبل ذلك في سقيفة بني ساعدة، وكانت بيعة أبي بكر العامّة على المنبر). قال أنس بن مالك: (سمعت عمر يقول لأبي بكر يومئذ: اصعد المنبر. فلم يزل به

حتّى صعد المنبر فبايعه الناس عامّة).

ثمّ تكلّم ابو بكر، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال:

(أمّا بعد، أيها الناس، فإنّي قد وُلّيت عليكم، ولست بخيركم، فإن احسنت فأعينوني، وإن اسأت فقوّموني ـ الى قوله: أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله، فلا طاعة لي عليكم. قوموا الى صلاتكم، يرحمكم الله)[١][٢].

وهنا نورد جملة من الملاحظات:

١ ـ لقد شغل المسلمون باحداث السقيفة، وذهلوا عن الجثمان الطاهر لرسول الله ﷺ بقية يوم الاثنين وهو اليوم الذي توفي فيه صلوات الله عليه، ويوم الثلاثاء حتى منتصف ليلة الاربعاء حيث دفن

---

(١) ابن هشام، ٤: ٣٤٠. والطبري، ٣: ٢٠٣ (وط. اوربا ١: ١٨٢٩). وعيون الاخبار لابن قتيبة ٢: ٢٣٤. والرياض النضرة ١: ١٦٧. وابن كثير ٥: ٢٤٨. والسيوطي في تاريخ الخلفاء ص٤٧. وكنز العمّال ٣: ١٢٩، ح٢٢٥٣. والحلبيّة ٣: ٣٩٧. وذكر البخاري في صحيحه ص١٦٥ من ج٤ كتاب البيعة عن أنس، خطبة عمر باختلاف يسير.
وممّن ذكر خطبة أبي بكر فقط، ابو بكر الجوهري في كتابه: السقيفة، حسب رواية ابن أبي الحديد عنه، ١: ١٣٤. وصفوة الصفوة ١: ٩٨.

(٢) استفدنا في نقل روايات احداث السقيفة والبيعة لابي بكر وما تلاها من كتاب معالم المدرستين ـ خلاصة الاجزاء الثلاثة للعلامة السيد مرتضى العسكري ص٨٧ ـ ٩٣ ط١ ١٤١٨ هـ نقلاً عن مصادره وأسانيده.

الرسول صلى الله عليه وآله منتصف الليل وقد غاب عن دفنه اكثر اصحابه بسبب احداث السقيفة، وما تمخضت عنه حتى قالت ام المؤمنين عائشة: «ما علمنا بدفن الرسول حتى سمعنا صوت المساحي من جوف الليل، ليلة الاربعاء»[١]، وقد ولي وضع رسول الله في قبره، هؤلاء الرهط الذين غسلوه: العباس، وعلي والفضل وصالح مولاه، وخلّى اصحاب رسول الله بين رسول الله وأهله، فولوا اجنانه»[٢] «ولم يلِهِ الاّ اقاربه ولقد سمعت بنو غنم صريف المساحي حين حضر، وانهم لفي بيوتهم»[٣] وحتى «ابا بكر وعمر لم يشهدا دفن النبي»[٤] فماذا يفهم القارىء او السامع من هذه الوقائع؟

٢ ـ لقد تمّ عزل اهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وعشيرته بشكل كامل عن المشاركة في اجتماع السقيفة، حتى انهم لم يحاطوا علماً من احد الاّ بعد ان انفض الاجتماع. وبويع ابو بكر البيعة الاولى، حيث جاء البراء ابن عازب، وقرع الباب على بني هاشم، وكانوا مشغولين بالحادث الجلل، ومفجوعين برسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: يا معشر بني

---

(١) الطبري: ٤٥٢ و٤٥٥ ط. بيروت، وابن كثير ٥:٢٧٠، وابن الاثير في اسد الغابة ١:٣٤.

(٢) ابن سعد في الطبقات ٢/ ق٢/ ٧٠ واجنانه: دفنه.

(٣) نفس المصدر: ٢/ق٢/٧٨

(٤) كنز العمال: المتقي الهندي ٣:١٤٠.

هاشم: بويع ابو بكر!!

٣ ـ كانت بيعة ابي بكر في السقيفة محدودة خاصة في جمع من الناس ولذا احتاجوا الى بيعة عامة في اليوم الثاني ـ يوم الثلاثاء ـ حيث قام الصحابي القرشي عمر بن الخطاب في المسجد، ورغب الناس في البيعة، واثنى على ابي بكر، قال انس بن مالك: سمعت عمر يقول لأبي بكر يومئذ: اصعد المنبر، فلم يزل به حتى صعد المنبر، فبايعه الناس[١]..

وهكذا جرت البيعة العامة للخليفة في مسجد رسول الله ﷺ بتحريض من عمر.

٤ ـ كان من ابرز الحجج التي احتج بها القرشيون وانصارهم على الانصار، لكسب الموقف قول عمر بن الخطاب: «من ذا ينازعنا سلطان محمد، وامارته، ونحن اولياؤه، وعشيرته الاّ مدل بباطل او متجانف لأثم، او متورط في هلكة...»[٢].

وهذه الكلمات تقطر باطلا، وعدم واقعية، ولذا علق امير المؤمنين

---

(١) ابن هشام ٤: ٣٤٠ والطبري ٣: ٢٠٣، والسيوطي في تاريخ الخلفاء ص ٤٧، والبخاري في الصحيح: كتاب البيعة: ٤: ١٦٥، وكثير غيرهم نقلا عن معالم المدرستين خلاصة الاجزاء الثلاثة للعلامة السيد العسكري ٩٣: ٩٤.
(٢) الطبري ٢: ٤٥٧.

علي بن ابي طالب عليه السلام على هذه المغالطة حيث بلغه خبرها بقوله: «احتجوا بالشجرة واضاعوا الثمرة»(١) فأن اولياء النبي صلى الله عليه وآله وعشيرته الاقربين كانوا بني هاشم لا قريش كلها، كما نص القرآن الكريم على ذلك بقوله تعالى: «وانذر عشيرتك الاقربين»(٢) حين امره الله عز وجل بدعوة عشيرته الاقربين فجمع بني هاشم فكانوا اربعين رجلا، فدعاهم الى الله، والى رسوله كما هو معلوم من التاريخ والسنن والتفسير(٣).

٥ ـ رغم قوة التيار المعارض لاهل البيت عليهم السلام واصراره على استبعاد امير المؤمنين علي عليه السلام عن موقعه الطبيعي في امة محمد صلى الله عليه وآله، الاّ ان كثيرا من الحاضرين جهروا بالمطالبة ببيعته: لا نبايع الاّ عليا(٤) الاّ ان انشقاق الانصار الى خزرج وأوس، وميل الاوس الى ابي بكر، ساهم في اضعاف التيار المطالب بعلي عليه السلام..

---

(١) نهج البلاغة: كلامه رقم ٦٧.

(٢) الشعراء: ٢١٤.

(٣) قضية انذار العشيرة رواه جل المحدثين والمؤرخين واصحاب السنن مثل ابن اسحاق وابي نعيم والبيهقي في سننه والثعلبي في تفسيره والطبري في التفسير لسورة الشعراء واحمد بن حنبل في مسنده ١: ١١١ وص١٥٩، والنسائي في خصائصه: ٦ ولمزيد من المصادر راجع المراجعات للسيد شرف الدين: ١٢٤ وما بعدها.

(٤) الطبري ٢: ٤٣٣.

هذا اضافة الى ان التيار المطالب بمبايعة علي عليه السلام لم يكن منظما، وليس له رموز حاضرة اثناء السقيفة، وقتذاك، علاوة على غياب بني هاشم قاطبة عن ذلك الاجتماع المباغت.

٦ ـ ومن الامور المهمة التي لم تدرس بعد: حضور قبيلة (أسلم) يوم الثلاثاء ـ اي وقت البيعة العامة، ودعمها لكفة الخليفة، فالطبري يذكر: ان (اسلم) اقبلت بجماعتها حتى تضايق بهم السكك[1]، فبايعوا ابا بكر، وكان عمر بن الخطاب وهو المشرف على حركة الاحداث حينذاك يقول: «ما هو الاّ ان رأيت اسلم، فأيقنت بالنصر»..

وتلوح هنا عدة ملاحظات:

أ ـ يبدو ان القبيلة كانت كبيرة جدا حتى غصت بها سكك المدينة.

ب ـ ان الصحابي عمر بن الخطاب كان على موعد مع تلك القبيلة، وتنسيق معها لاحتلال المدينة، ودعم موقف الحزب القريشي، كما يتضح من كلمته انه ايقن بالنصر بمجرد ان رأى «أسلم» قد اقبلت، فكيف عرف انها تنصر المشروع الذي قاده الخليفة عمر بمجرد ان رآها قد اقبلت ان لم يكن على موعد مع

(١) الطبري ٢:٤٥٨ ـ ٤٥٩، وابن الاثير في الكامل ٢:٢٤٢، وذكر مثله الزبير بن بكار في الموفقيات، والمفيد في حرب البصرة (الجمل).

اعراب تلك القبيلة ؟!

ج ـ ومن الجدير بالذكر ان حزب الخليفة لم يطمئنوا من نجاح مشروعهم الاّ بعد مجيء اسلم التي لم تكن من قبائل المدينة المنورة، ولا من قاطنيها[١]، وانما كانوا من الاعراب القاطنين في الصحراء.

فقد وصفهم زائدة بن قدامة قال: «كان جماعة من الاعراب دخلوا المدينة ليمتاروا منها، فشغل الناس بموت رسول الله صلى الله عليه وآله، فشهدوا البيعة، وحضروا الامر، فأنفذ اليهم عمر، واستدعاهم، وقال لهم: خذوا بالحظ والمعونة على بيعة خليفة رسول الله واخرجوا الى الناس، واحشروهم ليبايعوا، فمن امتنع فاضربوا رأسه وجبينه. قال: فوالله لقد رأيت الاعراب قد تحزّموا، واتّشحوا بالازر الصنعانية، واخذوا بأيديهم الخشب، وخرجوا حتى خبطوا الناس خبطا، وجاؤوا بهم مكرهين الى البيعة[٢].

وهكذا نفذت اعراب اسلم القسم الاعظم من تلك المهمة السياسية، تحت «ظلال» عصيهم، وغلظتهم البدوية الجاهلة،

---

(١) انظر الشيخ المفيد: الجمل ١١٩ ط ١ قم ١٤١٣ هـ.

(٢) انظر الشيخ المفيد مصدر سابق ص١١٩، وانظر وصف الصحابي البراء بن عازب لتلك الحالة كما رواها ابن ابي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة ٢١٩:١ طبع ٢ ١٩٦٥ دار احياء الكتب العربية.

وحماقتهم، بأشراف من الحزب الظافر!

ان من الملاحظ ان هذه العملية الانقلابية السريعة التي رافقتها مجموعة من عوامل النجاح، قد تمت في يومين وليلة، حيث صلى ابو بكر بالناس ظهر اليوم الثاني من وفاة رسول الله ﷺ، وبايعه معظم الناس، وتحول علي بن ابي طالب عليه السلام ومن معه الى اقلية منذ تلك الساعات تتحرك ما امكن باتجاه تغيير الاوضاع، واعادة الامور الى نصابها التي ارادها الله عز وجل ورسوله ﷺ، فان لم تستطع فلابد ان تجرد «الخلافة» من شرعيتها، وتعريها للامة شيئا فشيئا ومنذ ذلك الوقت بدأت المواجهة بين الجبهتين كل بوسائله، وامكاناته المتاحة.

اجتماع تداولي في بيت الزهراء عليها السلام

فرغ اهل بيت النبوة عليهم السلام من تجهيز رسول الله صلى الله عليه وآله ودفن جثمانه المطهر في بقعته التي اختارها الله له، ثـم التـفتوا لمـا حـولهم مـن الاحداث المريرة، فعقدوا وانصارهم اول اجتماع تداولي لهم في دار الصديقة الطاهرة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، لدراسة المستجدات.

وقد حضر ذلك الاجتماع كثير ممن رأى ان الاخـتيار المـرتجل لابي بكر للخلافة مجانبة للـحق، وعـدوان عـلى الحـقيقة، وكـان الحاضرون الاساسيون وعلى رأسهم الامام علي بن ابي طالب عليه السلام :

١ ـ العباس بن عبدالمطلب.

٢ ـ سلمان الفارسي.

٣ ـ عمار بن ياسر.

٤ ـ البراء بن عازب.

٥ ـ سعد بن ابي وقاص.

٦ ـ عتيبة بن ابي لهب.

٧ ـ ابو ذر الغفاري.

٨ ـ المقداد بن الاسود الكندي.

٩ ـ أُبي بن كعب.

١٠ ـ طلحة بن عبيدالله.

١١ ـ الزبير بن العوام.

١٢ ـ وجمع من الانصار والمهاجرين وبنو هاشم قاطبة[١].

وبينما كان المجتمعون يتداولون حول الموقف المطلوب بعد البيعة لأبي بكر، بلغ الامر «ابا بكر وعمراً ان جماعة من المهاجرين والانصار قد اجتمعوا مع علي بن ابي طالب في دار فاطمة بنت رسول الله»[٢] «فبعث اليهم ابو بكر عمر بن الخطاب ليخرجهم من بيت فاطمة، وقال له: ان ابوا فقاتلهم.

فأقبل بقبس من نار على ان يضرم عليهم الدار، فلقيتهم فاطمة فقالت: يا ابن الخطاب اجئت لتحرق دارنا!؟ قال: نعم، او تدخلوا في

---

(١) تاريخ الخميس ١٨٨:١ وابن عبد ربه الاندلسي في العقد الفريد ٦٤:٣، والرياض النضرة: ١٦٧:١، والسيرة الحلبية ٣٩٤ و٣٩٧، وتلخيص الشافي للشيخ الطوسي: ١٢١:٢ و٤٦:٣ وغيرها.

(٢) تاريخ اليعقوبي ١٢٦:٢ وغيره.

ما دخلت فيه الامة !»[١].

وفي انساب الاشراف:

فتلقّته فاطمة على الباب، فقالت فاطمة: يا ابن الخطاب اتراك محرقا عليّ بابي ؟! قال: نعم...[٢].

فأتوا في جماعة حتى هجموا على الدار ـ الى قوله ـ: وكسر سيفه أي سيف علي ـ ودخلوا الدار[٣].

وقال الطبري:

أتى عمر بن الخطاب منزل عليّ وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين فخرج عليه الزبير مصلتا بالسيف، فعثر فسقط السيف من يده، فوثبوا عليه فأخذوه[٤].

---

(١) ابن عبد ربّه، ٣: ٦٤، وأبو الفداء ١: ١٥٦. وقد نقلناه من كتاب معالم المدرستين للسيد العلامة مرتضى العسكري.

(٢) انساب الاشراف ١: ٥٨٦، وراجع كنز العمال ٣: ١٤٠، والرياض النضرة ١:١٦٧، وأبو بكر الجوهري برواية ابن ابي الحديد ١:١٣٢ وج٦ في الصفحة الثانية منه، والخميس ١:١٧٨، وأبو بكر الجوهري برواية ابن ابي الحديد ١:١٣٤، وتاريخ ابن شحنة ص ١١٣ بهامش الكامل ١١:١١٣. وقد نقلناه من كتاب معالم المدرستين للسيد العلامة مرتضى العسكري خلاصة الاجزاء الثلاثة: ٩٩.

(٣) اليعقوبي ٢:١٢٦. والصحيح ان سيف الزبير هو الذي كسر لا غيره.

(٤) الطبري ٢:٤٤٣ و٤٤٤ و٤٤٦ وط. اوروبا ١:١٨١٨ و١٨٢٠ و١٨٨٢. وقد

وذكر ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٦٧ هـ) في كتابه ما يلي:

«وان ابا بكر رضي الله عنه تفقد قوما تخلفوا عن بيعته عند علي كرم الله وجهه، فبعث اليهم عمر، فجاء فناداهم وهم في دار علي، فأبوا ان يخرجوا فدعا بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجن او لأحرقنها على من فيها، فقيل له يا ابا حفص. ان فيها فاطمة؟ فقال وإن، فخرجوا فبايعوا الا عليا فانه زعم انه قال: حلفت أن لا اخرج ولا أضع ثوبي على عاتقي حتى اجمع القرآن، فوقفت فاطمة «رضي الله عنها» على بابها، فقالت: لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازة بين أيدينا، وقطعتم امركم بينكم، لم تستأمرونا، ولم تردوا لنا حقا. فأتى عمر ابا بكر، فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة؟ فقال ابو بكر لقنفذ وهو مولى له: اذهب فادع عليا، قال فذهب الى علي فقال له؟ ما حاجتك؟ فقال يدعوك خليفة رسول الله، فقال علي: لسريع ما كذبتم على رسول الله. فرجع فأبلغ الرسالة، قال: فبكى ابو بكر طويلا.

← اورده العقّاد في عبقرية عمر ص١٧٣. وذكر كسر سيف الزبير المحبّ الطبري في الرياض النضرة ١:١٦٧. والخميس ١:١٨٨. وابن ابي الحديد ١:١٢٢ و١٣٢ و١٣٤ و١٥٨ و٢:٢ ـ ٥، وكنز العمال ٣:١٢٨. وقد نقلناه من كتاب معالم المدرستين للسيد العلامة مرتضى العسكري (خلاصة الاجزاء الثلاثة): ٩٩ باسناده.

فقال عمر الثانية: لا تمهل هذا المتخلف عنك بالبيعة، فقال ابو بكر رضي الله عنه لقنفذ: عد اليه، فقل له: خليفة رسول الله يدعوك لتبايع، فجاءه قنفذ، فأدى ما أمر به، فرفع علي صوته فقال سبحان الله؟ لقد ادعى ما ليس له، فرجع قنفذ، فأبلغ الرسالة، فبكى ابو بكر طويلا، ثم قام عمر، فمشى معه جماعة، حتى أتوا باب فاطمة، فدقوا الباب، فلما سمعت نادت بأعلى صوتها: يا أبت يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة، فلما سمع القوم صوتها وبكاءها، انصرفوا باكين، وكادت قلوبهم تتصدع، واكبادهم تنفطر، وبقى عمر ومعه قوم، فأخرجوا عليا، فمضوا به الى أبي بكر، فقالوا له: بايع، فقال: ان انا لم افعل فمه؟ قالوا: اذاً والله الذي لا اله الا هو نضرب عنقك، فقال: اذا تقتلون عبدالله وأخا رسوله، قال عمر: اما عبدالله فنعم، واما أخو رسوله فلا، وأبو بكر ساكت لا يتكلم، فقال له عمر: ألا تأمر فيه بأمرك؟ فقال: لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة الى جنبه، فلحق علي بقبر رسول الله صلى الله عليه وآله يصيح ويبكي، وينادي: يا ابن أم ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني»(١).

---

(١) الامامة والسياسة: ١:١٩ ـ ٢٠، تحقيق طه محمد الزيني ط مؤسسة الجلبي ـ القاهرة وروى ذلك ابو بكر الجوهري كما في شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ٢:٥٢ ورواية ابن قتيبة فيها ارتباك كما يتضح من قراءتها، وذلك بسبب تلاعب يد التحريف عبر الازمان قطعا!

واستمرت الاحداث تترى بعد ذلك، فالحكومة تمارس ضغوطها لاضعاف المقاومة، واهل بيت النبوة عليهم السلام يواجهون السلطة بوسائلهم الممكنة، لتجريدها من «الشرعية» التي تحاول ان توفرها لنفسها..

ومن ملاحظة جملة الاحداث، ومسيرة الوقائع التي مرت بالبيت النبوي المقدس ـ حسب الوثائق التاريخية ـ يتضح ما يلي:

١ ـ ان السلطة الحاكمة استمرت في عنتها لاهل البيت عليهم السلام فسيق علي عليه السلام الى مقر الحكومة ليبايع ولكن الصديقة الزهراء عليها السلام افشلت مهمة القوم في اجباره على البيعة، عند حضورها معه الى المسجد، فالخليفة ابو بكر قاوم اصرار عمر على اجبار علي عليه السلام على البيعة قائلا له: لا اكرهه على شيء ما دامت فاطمة الى جنبه[١].

٢ ـ تعرضت الزهراء عليها السلام الى العنت والاذى في اكثر من موقع وموقف ـ كما سنعرض بعض ذلك.

٣ ـ ان عليا عليه السلام لم يبايع الخليفة، ولم يسلم له طوال حياة الزهراء عليها السلام، الاّ انه تعايش مع الاوضاع بشكل عام بعد وفاة الصديقة الطاهرة وبقي يجاهر بحقه كلما سنحت فرصة لذلك.

٤ ـ ومن وسائل عدم رضاه عن الحكم، وحرصه على عدم اسباغ

---

(١) الإمامة والسياسة: ١: ١٣.

الشرعية على طريقة الحكم التي ابتدعت انه لم يساهم في حرب، ولا ادارة، ولا قضاء ابداً وانما انصرف للتوجيه والتربية والارشاد للاحكام الالهية، والدفاع عن اصالة الرسالة، ولذا حفظ تاريخ المسلمين سفرا واسعا من تراث الامام أمير المؤمنين عليه السلام الخالد في هذا المضمار(١).

وهكذا تتجلى حقيقة لابد من تسليط الضوء عليها هي: ان اجتماع السقيفة اذا كان قد نجح في توفير مرجعية سياسية للامة فانه لم يستطع ان يوفر مرجعية فكرية، رغم كل المحاولات التي قام بها كعب الاحبار وابو هريرة وتميم الداري الذين كلفوا ببرامج ثقافية لسد الفراغ، ولذا اضطرت الحكومة ان تفزع لأمير المؤمنين علي عليه السلام في كل معضلة فكرية، حتى حفظ التاريخ من تلك المسائل شيئا كثيرا جدا، بيد انهم لم يسلموا له كرسي «المرجعية الفكرية» كذلك، فبقي شاغرا من الناحية الرسمية مع الاسف.

٥ ـ ان من عوامل تعايش الإمام عليه السلام مع الحالة المفروضة بعد النبي صلى الله عليه وآله، وبعد احداث السقيفة حرصه المطلق على مصلحة الاسلام والامة، فدخوله في مواجهة مستمرة مع السلطة كان يقدر انها

---

(١) انظر: علي والخلفاء: المرحوم الشيخ نجم الدين العسكري مثلا الذي جمع فيه بعض التوجيهات والتعليمات والمشاريع والاحكام التي حباها الامام عليه السلام لمسيرة المسلمين في عهد الخلفاء الذين سبقوه.

تضعضع ركائز الاسلام في النفوس، وتشكك المسلمين في حقيقة الاسلام لا سيما وان جيوش الردة عن الاسلام على الابواب، وان العدو الخارجي كالروم والفرس وغيرهم، يتربصون، كما ان حركة النفاق متصاعدة داخل الاطار العام للمسلمين.

يقول امير المؤمنين علي عليه السلام حول ذلك الوضع الخطير ما يلي:

«.. فما راعني الاّ انثيال الناس على فلان يبايعونه، فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الاسلام يدعون الى محق دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فخشيت ان لم انصر الاسلام واهله ان أرى فيه ثلما أو هدما، تكون المصيبة به عليّ اعظم من فوت ولايتكم التي انما هي متاع ايام قلائل..»(١).

وحول هذا الموقف المترفع يقول البلاذري:

«لما ارتدت العرب، مشى عثمان الى علي، فقال: يا ابن عم، انه لايخرج احد الى قتال هذا العدو، وأنت لم تبايع، فلم يزل به حتى مشى الى ابي بكر.. فسّر المسلمون، وجد الناس في القتال، وقطعت البعوث»(٢).

ومن نافل القول ان نذكر ان عليا عليه السلام لم يبايع ابدا وانما اظهر

---

(١) نهج البلاغة: تنظيم صبحي الصالح ص٤٥١ كتابه رقم ٦٢.
(٢) انساب الاشراف ١: ٥٨٧.

التعايش مع الحالة الفعلية بعد عدة شهور من المعارضة الصريحة !

٦ ـ ان الامام أمير المؤمنين عليه السلام والصديقة الزهراء عليها السلام ومن كان مع اهل البيت عليهم السلام من بني هاشم والاصحاب الكرام تحركوا حركة دائبة لتوفير مستلزمات النصرة للحق قبل ان تتحول نتائج السقيفة الى امر واقع، فلما لم يجدوا الى ذلك سبيلا وتحولت الاوضاع السياسية الجديدة الى امر واقع تعايشوا مع السلطة الجديدة بالشكل الذي المحنا اليه آنفا وذلك بعد وفاة الزهراء عليها السلام .

ونذكر هنا ارقاما حول تلك الحركة الباحثة عن «النصرة» واغلب هذه الارقام رسمية:

ـ قال اليعقوبي في تاريخه: «واجتمع جماعة الى علي بن ابي طالب يدعونه الى البيعة، فقال لهم: اغدوا عليّ محلقين الرؤوس، فلم يغد الاّ ثلاثة نفر»[(١)] . «ثم ان علياً حمل فاطمة على حمار، وسار بها ليلا الى بيوت الانصار، يسألهم النصرة، وتسألهم فاطمة الانتصار له»[(٢)] «فلما رأى عليّ انصراف وجوه الناس عنه، ضرع الى مصالحة ابي بكر فأرسل الى ابي بكر ان ائتنا ولا يأتنا معك احد..»[(٣)] .

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢:١٢٦ وفي شرح النهج ٢:٤.

(٢) الامامة والسياسة: ابن قتيبة الدينوري ١:١٩ وروى ذلك ابن ابي الحديد في شرح النهج مجلد ٥ ـ ٦: ٢٨ مع اختلاف يسير بالالفاظ.

(٣) الطبري ٢:٤٤٨، وغيره من المصادر، وهذه الكلمات وصيغتها لا تدل

ومن هنا يتضح من لفظ «المصالحة» حالة التعايش مع الحكم التي ابداها امير المؤمنين عليه السلام حفظا على مصلحة الاسـلام والمسـلمين، وترجح رواية الطبري ان ابا بكر زاره في بيته دون ان يصحبه احـد خلافا لمضمون رواية البلاذري التي مرت، وفيها ذكر لوساطة قام بها عثمان بن عفان!

← على بيعة، وانما هي مهادنة وتعايش مع الاوضاع حسب مقتضى الحكمة في ضوء مصلحة الاسلام.

قرارات اقتصادية!

لم يتوقف الحزب القرشي الذي تسلم السلطة بعد نبي الله محمد ﷺ عند حد اقصاء وصي رسول الله الشرعي عن موقعه القيادي في الامة، وانما واصل خططه وبرامجه من اجل احكام السيطرة على الاوضاع بشكل نهائي بشكل لا يكاد المرء ـ في هذا القرن ـ ان يصدق ان يكون للناس تجربة بهذا المستوى من الاحكام والدقة في ذلك الزمن الغابر السحيق..

ان «مطارحات ميكافيلي»، و«بروتوكولات حكماء صهيون» وخطط «لعبة الامم» ومخططات الماسونية، واساليب حزب البعث الحاكم في العراق، وغير ذلك، لا تشكل نماذج للخبث البكر، وانما هي صدى لتجارب طويلة، شهدها هذا الكوكب المبتلى بشياطين الانس والجن، والطغاة عبر التاريخ يتفننون في تنفيذ تجارب الخبث والشيطنة ويضيفون اليها من لؤمهم، وحقدهم وتعلقهم بالدنيا..

ان ما جرى بعد رحيل رسول الله ﷺ الى ربه الاعلى من احداث

حمراء قاسية، وما نزل على هذه الامة من محن تنوء بحملها الجبال هي التي استحقت هذا الثمن الغالي جدا الذي اشار اليه رسول الله ﷺ: «يجاء برجال من امتي، فيؤخذ بهم ذات ا لشمال، فأقول: يا رب! أصحابي!

فيقال: انك لا تدري ما احدثوا بعدك.. ان هؤلاء لم يزالوا مرتدين على اعقابهم منذ فارقتهم..»![1]

فبعد ان تمت تلك العملية الانقلابية في جزئها الاعظم تحرك الحزب الحاكم بسرعة فائقة لضمان المستقبل وتحقيق اكبر عوامل الرسوخ لقوائم الحكم الدنيوي المطلوب.

فبعد ذلك القرار السياسي التاريخي الذي لوى عنق مسيرة الرسالة والدعوة فيما بعد، وما تبعه من افرازات «السقيفة» العاجلة، صدرت مجموعة قرارات تتسم بالعنف، والحدية ـ في مصطلح السياسيين ـ وكانت في مقدمتها مجموعة من القرارات ذات الطابع الاقتصادي، حيث اصدرت الحكومة اوامر بالسيطرة على كافة ممتلكات اهل البيت عليهم السلام ومصادر تمويلهم.

وتلك القرارات كانت ذات نتائج سياسية اكثر منها نتائج اقتصادية، فقد كان المقصود من تلك العملية تجريد بني هاشم من الامكانات

---

(١) رواه الشيخان في الصحيحين كما ذكرنا.

المالية وشل قدرتهم على القيام بأي عمل سياسي يقتضي اي تمويل مالي ـ كما سيتضح تباعا.

ثروة النبي وممتلكاته

تحدثت الكثير من مصادر التاريخ الاسلامي والسنن عن ثروة النبي ﷺ وممتلكاته الخاصة وقد عبر عنها البعض من المؤرخين والرواة بمصطلح (صدقات النبي ﷺ)[1]. انسجاما مع حديث للصحابي ابي بكر انفرد بروايته: «انا معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة» وتبريراً من رواة البلاط لعملية مصادرة ممتلكات النبي ﷺ وثروته،وحرمان اهله منها بعد وفاته وهذه الممتلكات هي:

١ ـ الحوائط السبعة في المدينة المنورة: والحائط في المصطلح القديم: البستان المسيّج، وقد اهداها الى رسول الله ﷺ احد علماء اليهود بعد اسلامه، ويدعى «مخيريق»..

وقد اسلم مخيريق عند وصول النبي ﷺ الى «قبا» في بداية بلوغه يثرب مهاجراً، واستمر على اسلامه حتى قتل في معركة احد،

(١) انظر مثلا الاحكام السلطانية: للماوردي ١٦٨ ـ ١٧١ وغيره.

وكان من وصيته قبل موته، اذا اصيب في الحرب فأمواله لرسول الله صلى الله عليه وآله[١].

وكانت بساتينه السبعة هي: الاعواف، الصافية، الدلال، الميثب، برقة، حسنى، ومشربة ام ابراهيم التي كانت تسكنها مارية القبطية جارية رسول الله صلى الله عليه وآله وقد اوقف رسول الله صلى الله عليه وآله هذه الممتلكات دون «الصافية» وجعلها صدقات تصرف مواردها في سبيل الله، وفي مصالح المسلمين اعتباراً من السنة السابعة للهجرة[٢].

٢ ـ ما وهبه الانصار للرسول (ص) من اراضيهم: وهي كل ارض لا يبلغها الماء، يفعل بها رسول الله صلى الله عليه وآله ما يشاء.

٣ ـ ارضه من اموال يهود بني النضير: وهذه الارض مما افاء الله على رسوله خاصة، حيث لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب.

فقد اختص الله تعالى بها رسوله صلى الله عليه وآله دون المسلمين لسقوطها دون قتال وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يتصرف بها تصرف الملاك في املاكهم، ينفق منها على اهله، ويهب منها ما يشاء لمن يشاء.

---

(١) الواقدي: المغازي ١:٢٦٣ ط٣ الاعلمي بيروت ١٩٨٩م تحقيق الدكتور مارسدن جونس.

(٢) يلاحظ وفاء الوفا:٩٨٩، والبحار ٨:١٠٨، كما نقله عنهما العلامة السيد مرتضى العسكري في معالم المدرستين٢:١٤٢.

وقد وهب منها شيئا للصحابي ابي بكر وللصحابي عبدالرحمن بن عوف، والصحابي ابي دجانة، سماك بن خرشة الساعدي، وآخرين، وكان ذلك عام ٤ هـ(١).

٤ ـ ممتلكاته من خيبر: وخيبر من قرى اليهود الكبيرة الغنية جدا، وتقع خارج المدينة لمن يقصد الشام، وكان يقطنها يهود متشددون، وتشتمل على سبعة حصون او ثمانية، وكانت ذات مزارع ونخل كثير وقد تحالف يهود خيبر مع المشركين من العرب في الجزيرة، وجاهروا بالعدوان على الاسلام، فلما عاد رسول الله ﷺ من الحديبية غزاهم بين نهاية صفر واوائل ربيع الاول من السنة السابعة من الهجرة بمن شهد معه احداث «الحديبية» دون غيرهم.

وبعد حصار دام شهراً واحداً بدأوا بالانهيار والاستسلام ومما سقط من حصونهم بالقوة قسمه رسول الله ﷺ بين المسلمين واخذ خمسه، وما سقط من ارض يهود خيبر دون قتال كان مما افاء الله تعالى على رسوله ﷺ دون المسلمين.

وهكذا صار نصف خيبر لرسول الله ﷺ.. وهذه الارض اقطع النبي ﷺ قسما منها لازواجه(٢) كما كان يقسم غلات الارض التي

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري: ١٨ ـ ٢٢.

(٢) فتوح البلدان ١ :٣٢.

امتلكها من الخمس على اصحابها من المساكين وذوي القربى وامثالهم، وما عدا ما وهب كان ملكا خالصا لرسول الله صلى الله عليه وآله ينفق منه كيف شاء.

هذا وتشير بعض المصادر التاريخية: ان النبي صلى الله عليه وآله كان ما امتلكه ثلاثة حصون هي: الكتيبة والوطيح والسلالم، والأخيران صارا له ملكاً، مما افاء الله عليه، اما حصن الكتيبة فقد اخذه بالخمس(١).

٥ ـ قرية فدك: تقع فدك خارج المدينة، بينها وبين المدينة يومان، وفيها نخل كثير وعين ماء فوّاره.

وبعد انصراف رسول الله صلى الله عليه وآله من خيبر، دعا اهل فدك الى الاسلام ـ وكانوا على اليهودية ـ فامتلؤوا رعبا، فأرسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله: ان لهم رقابهم ونصف ارضهم، ونخلهم، ولرسول الله صلى الله عليه وآله النصف الآخر من الارض بنخيلها..

فكان نصف فدك خالصاً لرسول الله صلى الله عليه وآله لانه لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، وهذا مما اجمعت عليه الامة(٢)، فاصبحت بذلك تحت تصرف رسول الله صلى الله عليه وآله ينفق ما يأتيه منها، فلما انزل الله

---

(١) الاحكام السلطانية للماوردي ١٧٠، والاموال لابي عبيد ص٥٦ نقلا عن العلامة السيد مرتضى العسكري: معالم المدرستين ٢:١٤٤.

(٢) النص والاجتهاد: السيد شرف الدين ص ١١٠ ـ ص١١١.

تعالى قوله: «وآت ذا القربى حقه»[١] وهب حقه من فدك لابنته فاطمة الزهراء «عليها الصلاة والسلام» فقد حدث الحسكاني في شواهد التنزيل، والسيوطي في الدر المنثور والذهبي في ميزان الاعتدال، والهيثمي في مجمع الزوائد والمتقي في كنز العمال والطبرسي في مجمع البيان رووا جميعا عن سعيد الخدري ﵁: لما نزلت «وآت ذا القربى حقه»، دعا النبي فاطمة واعطاها فدك.

وروى الحسكاني ذلك عن ابن عباس ﵁ عند نزول الآية من سورة الروم، وهي الآية الثامنة والثلاثين..

وهكذا تحولت ملكية فدك بأمر الله عزّ وجلّ من يد رسول الله ﷺ الى يد ابنته الصديقة فاطمة ؑ[٢].

ومنذ ذلك التاريخ عينت الزهراء ؑ وكيلا عنها وعمالا لادارة شؤون ملكيتها تلك، وكانت تنفق غلتها على شؤونها، وما يلم بها من امور منذ ربيع الثاني من عام ٧ هـ حتى الاسبوع الاول من وفاة رسول الله ﷺ عام ١١ هـ حيث صودرت من قبل حكومة الخلافة

---

(١) الاسراء ٢٦. والروم ٣٨.

(٢) انظر قضية فدك من خلال روايات المسلمين من كتاب: «عوالم العلوم والمعارف والاحوال» للمحدث الشيخ عبدالله البحراني الاصفهاني مجلد ١١ (فاطمة الزهراء) بين ص ٤١٨ ـ ص٤٤٣.

وتمّ تأميمها جهاراً ضمن عملية التأميم الجائر لجميع ممتلكات رسول الله صلى الله عليه وآله.

٦ ـ وادي القرى: يقع بين المدينة وبلاد الشام بل بين تيماء وخيبر، وتيماء بأطراف الشام، وسمي بوادي القرى لكثرة ما فيه من القرى التي تنتظم خلاله، وتسكنها قبائل يهودية..

ويذكر المؤرخون واهل السير ان رسول الله صلى الله عليه وآله اتى وادى القرى في جمادى الآخرة سنة سبع من الهجرة، بعد فتحه لخيبر ـ كما هو معلوم ـ ودعا اليهود الى الدين الحق، فامتنعوا امتناعا شديدا، وقاتلوا جيش المسلمين فوقعت الحرب بين الجبهتين، فنصر الله عزّ وجلّ فيها نبيه، وفتحت تلك القرى عنوة من قبل جيش المسلمين المظفر.

وحسب مقررات احكام الله تعالى في هذه الحالات فقد ا رسول الله صلى الله عليه وآله خمس هذا الوادي وقد اقطع منه الصحابي حمزة بن النعمان العذري رمية سوط من وادي القرى..

وفي تفصيل للماوردي وابي يعلى: ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان له الثلث من وادي القرى، لان ثلث الوادي كان لبني عذرة، والثلثين الآخرين لليهود فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وآله على نصفهما، فصارت اثلاثا منها ثلث لرسول الله صلى الله عليه وآله ...[1].

---

(١) الاحكام السلطانية للماوردي ١٧٠، وابي يعلى ١٨٥، نقلا عن المعالم

هذا ويلاحظ ان النبي ﷺ قد ابقى اليهود يعملون في تلك الاراضي والنخل ضمن اتفاق له معهم.

٧ ـ سوق مهزوز: كان وادياً في العالية من المدينة المنورة وكان يسكنه يهود بني قريضة ويبدو انه صار سوقا بعد ذلك، وقد تحولت هذه الارض الى رسول الله ﷺ بعد نقض هؤلاء اليهود لميثاقهم مع النبي ﷺ الذي ابرمه معهم بعد هجرته للمدينة المنورة، فنقضوه ايام معركة الاحزاب فحاصرهم رسول الله ﷺ فصالحوه على مغادرة ارضهم واموالهم[(١)].

هذا ومن ممتلكات رسول الله ﷺ دار امه آمنة بنت وهب وكانت في شعب ابي طالب في مكة المكرمة ودار زوجته الطاهرة خديجة بنت خويلد عليها السلام ورثها بعد وفاتها وكانت تلك الدار بين الصفا والمروة في مكة المكرمة ايضا..

هذه مفردات ثروة رسول الله ﷺ التي كان ينفق منها على شؤونه، وما يهمه من امور الحياة.

وقد اشرنا الى ما وهبه الى بعض اصحابه ونسائه وابنته، فضلا عما تصدق به وأوقفه اما سوى ذلك فهو ملك خاص لنبي الله ﷺ.

← مجلد ٢: ١٤٦ مصدر سابق.

(١) الطبري ٢: ٢٥٣.

قرارات المصادرة
وموقف أهل البيت عليهم السلام

ما ان اغضمت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله، وافرز اجتماع السقيفة ما افرز استولى الصحابيان الحاكمان ابو بكر وعمر بن الخطاب على كل ممتلكات رسول الله صلى الله عليه وآله وميراثه، ولم يتعرضا، لما وهبه لبعض صحابته وازواجه الا ما وهبه لابنته فاطمة عليها السلام (فدك) حيث شملها قرار المصادرة، كما شمل كل ما تركه النبي صلى الله عليه وآله من اموال، سواء، اكان تملكه بالهبة او الخمس او الفيء اوما الى ذلك، واطلق الحكم على كل ذلك اسم صدقات النبي صلى الله عليه وآله ليبرر قرار مصادرته لها:

روى البخاري ومسلم في الصحيحين، واحمد بن حنبل في مسنده وابو داود في سننه، والنسائي وابن سعد في الطبقات جميعا عن ام المؤمنين عائشة ـ واللفظ للبخاري: ان فاطمة ارسلت الى ابي بكر، تسأله ميراثها من النبي صلى الله عليه وآله فيما افاء الله على رسوله صلى الله عليه وآله تطلب صدقة النبي التي بالمدينة، وفدك وما بقي من خمس خيبر..

فقال ابو بكر: ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «لا نورث ما تركنا، فهو صدقة، انما يأكل آل محمد من هذا المال ـ يعني مال الله ـ ليس لهم ان يزيدوا على المأكل»، واني والله لا اغير شيئا من صدقات! النبي التي كانت عليها في عهد النبي صلى الله عليه وآله، ولأعملنّ فيها بما عمل فيها رسول الله صلى الله عليه وآله [١].

وهكذا اصر الخليفة على اطلاق لفظ «الصدقات» على تركة النبي صلى الله عليه وآله عموما ليمكنه التصرف بها كيفما يشاء، وحيث ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان ينفق غلات تلك الاراضي، ومحاصيلها في حقوقه الخاصة، وما ينتابه من امور ولتغطية نفقاته الاخرى المتعلقة بشؤونه كحاكم على الامة وقائد لها، وما يتطلبه ذلك المقام من مسؤوليات فان الخليفة ابا بكر جعل من نفسه في مقام رسول الله صلى الله عليه وآله وهذا مراد قوله: «لاعملنّ فيها بما عمل فيها رسول الله» اي لانفقنَّ منها لحقوقي التي تعروني ونوائبي [٢].

---

(١) صحيح البخاري ٢:٢٠٠ باب مناقب قرابة رسول الله من كتاب المناقب، وسنن ابي داود ٢:٤٩ باب صفايا رسول الله، وسنن النسائي ٢:١٧٩ وغيرها من مصادر.

(٢) العلامة السيد مرتضى العسكري معام المدرستين: ٢:١٤٩ عن صحيح البخاري ٢:١٢٤ باب فرض الخمس وصحيح مسلم الحديث ٥٤ من كتاب الجهاد وتاريخ الذهبي ١:٣٤٦ وغيرها.

هكذا كانت طريقة المصادرة لتركة رسول الله صلى الله عليه وآله ونصيب القربى من الخمس، وغيرها.

وان تعجب، فمن اغرب العجائب ان الخليفة ابا بكر بينما يصادر تركة النبي صلى الله عليه وآله والاموال الخاصة بعلي وفاطمة «عليهما السلام» وغيرها من بني هاشم، لم يتعرض بشيء ابدا الى الاموال التي وهبها النبي صلى الله عليه وآله للآخرين غير فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله..

فقد ابقى الخليفة، ما وهبه الرسول صلى الله عليه وآله الى ازواجه، والى عبدالرحمن بن عوف، والى ابي بكر نفسه، وغير هؤلاء بأيديهم دون ان يتعرض لهم بشيء ابدا..

ولنا ان نتناول هذا العدوان بشيء من التفصيل من خلال موقف الصديقة الزهراء عليها السلام ازاء كل موضوع من المواضيع المالية المذكورة:

١ ـ هل يرث ابناء الانبياء آباءهم؟:

في قضية الارث يطرح القرآن الكريم قاعدة مطردة لا تستثني احداً من المؤمنين من النبي صلى الله عليه وآله باعتباره على رأس هرم المجتمع المسلم حتى ابسط انسان في المجتمع. يقول تعالى: **﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قلّ منه او كثر نصيبا مفروضا..﴾**[1].

---

(١) النساء: ٧.

ويقول عزّ وجلّ: ﴿يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين..﴾[١].

وتشبه الآيات المحددة لطبيعة الميراث وكيفية توزيعه على الورثة في اطلاقها وتحديدها القانوني.. تشبه الآيات التشريعية الاخرى التي تشمل النبي صلى الله عليه وآله وافراد امته جميعاً من قبيل قوله تعالى:

﴿كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم..﴾.

﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به، والمنخنقة، والموقوذة، والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الاّ ما ذكيتم..﴾.

﴿واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾. وامثال ذلك

ومن هنا فان ما اطلقه الخليفة من حكاية: «انا معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة» التي ادعى ابو بكر انه سمعها من رسول الله صلى الله عليه وآله لا تصمد امام آيات الوصية، وآيات الميراث، خصوصا وان تلك الآيات لا تستثني النبي صلى الله عليه وآله من الحالة الشمولية التي تتميز بها، بل ان ذلك الادعاء اتهام لرسول الله صلى الله عليه وآله من انه لا ينفذ مضمون القوانين الآلهية!!. والاّ فأين الاستثناء القرآني في ذلك؟

ومن الجدير بالذكر ان القرآن الكريم يحدثنا عن مصاديق كثيرة في

---

(١) النساء: ١١.

مجال الوراثة بين الانبياء عليهم السلام واولادهم.

كقوله تعالى: «وورث سليمان داود».

وقوله تعالى حكاية عن زكريا النبي عليه السلام: ﴿.. واني خفت الموالي من ورائي، وكانت امرأتي عاقراً، فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب، واجعله ربّي رضيا﴾[1].

فأن من الواضح جداً ان زكريا انما دعا ربه ان يرزقه ولداً صالحاً مرضياً عنده يرثه بعد موته، ولم يقصد وراثة النبوة بدليل انه دعا الله عزّ وجلّ ان يكون ذلك الولي الوارث رضياً، اي مرضياً، لأن ذلك الطلب يكون لغواً حينذاك..

ثم ان قوله «خفت الموالي، من ورائي» يدل على خوفه من استعمال اولئك الموالي ـ لسوء اخلاقهم ـ امواله في المعصية والاساءة[2]. فأراد ولداً صالحاً يضع امواله في مواضعها المشروعة، ولا علاقة للنبوة والعلم بذلك الموضوع ابدا.

ان هذه الحجج الناصعة القوية هي التي صدعت بها الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام حين خاصمت الخليفة ووزيره حول ميراثها من

---

(١) مريم (٥ ـ ٦).

(٢) انظر النص والاجتهاد: السيد شرف الدين ١٠٤ ـ ١٠٥.

ابيها رسول الله صلى الله عليه وآله، وهي التركة التي لم يوهبها رسول الله صلى الله عليه وآله لاحد ولم يوقفها في سبيل الله عزّ وجلّ، وهي كثيرة كما رأينا في استعراضنا السابق لممتلكات النبي صلى الله عليه وآله وهي: «مالم يوقفه من حوائط مخيريق، وما وهبه الانصار له من اراضي، وهي كل ارض مرتفعة، وثروته من اراضي خيبر ومزارعها، واملاكه من اراضي بني النضير، وثلثه من وادي القرى، علاوة على وادي مهزور في العالية الذي صار سوقا بعد ذلك...

هذه اهم مفردات الاموال الشخصية للنبي صلى الله عليه وآله اضافة الى الاوقاف التي اوقفها في سبيل الله عزّ وجلّ، وكان النبي صلى الله عليه وآله يشرف عليها بنفسه ويضعها في مواضعها.

وكل هذه الثروات صادرها الخليفة ابو بكر وعمر وشملت المصادرة ما وهبه رسول الله صلى الله عليه وآله للزهراء عليها السلام في حياته، وما حدده الله تعالى لذوي قرباه من الخمس».

وهذه بعض من مفردات احتجاج الزهراء عليها السلام على رأس الحكومة حول قراراته الظالمة:

أ ـ في سنن الترمذي عن ابي هريرة الدوسي قال: ان فاطمة جاءت الى ابي بكر وعمر رضي الله عنهما تسأل ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالا: سمعنا رسول الله يقول: اني لا أورث..

قالت: والله لا أكلمكما ابداً، فماتت، ولا تكلمهما[١].

ب ـ وفي مسند احمد والترمذي وطبقات ابن سعد وتاريخ ابن كثير واللفظ لاحمد عن ابي هريرة قال: ان فاطمة قالت لأبي بكر من يرثك اذا مت؟

قال: ولدي وأهلي.

قالت: فما لنا لا نرث النبي صلى الله عليه وآله؟

قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «ان النبي لا يورث»، ولكني اعول من كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعول، وانفق على من كان رسول الله ينفق عليه[٢].

هذه بعض الروايات الرسمية، التي جرى عليها الكثير من التعديل، والتحديد، والحصر ـ قطعاً ـ عبر السنين لصالح الخلفاء.

ومن المناسب هنا ان نذكر الفقرات المتعلقة بميراث النبي صلى الله عليه وآله في الخطبة العظيمة التي القتها الصديقة الزهراء عليها السلام في مسجد النبي صلى الله عليه وآله في نهاية الاحداث المريرة التي مرّت على البيت النبوي بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله.

---

(١) سنن الترمذي ٧:١١ ابواب السير (ما جاء في تركة الرسول).

(٢) مسند احمد ١: ١٠ ح٦٠، والترمذي ٧:١٠٩ «باب ماجاء في تركة الرسول»، وطبقات ابن سعد ٥:٣٧٢، وابن كثير ٥:٢٨٩ وغيرهم.

فقد جاء في تلك الخطبة الخالدة، في هذا المضمار ما يلي:

«اعلى عمد تركتم كتاب الله، ونبذتموه وراء ظهوركم؟ اذ يقول: «وورث سليمان داود»، وقال فيما اقتص من خبر زكريا: «فهب لي من لدنك وليا يرثني، ويرث من آل يعقوب واجعله ربّ رضيا»، وقال: «وأولو الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله»، وقال: «يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين»، وقال« كتب عليكم ـ اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيراً ـ الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقاً على المتقين» ثم قالت: اخصكم الله بآية اخرج بها أبي؟ ام انتم اعلم بخصوص القرآن، وعمومه من ابي وابن عمي؟ ام تقولون: اهل ملتين لا يتوارثان؟».. الخطبة[1].

فقد احتجت الصديقة الطاهرة عليها الصلاة والسلام على توريث الانبياء عليهم السلام بآيتي داود وزكريا الصريحتين بتوريثهما، وبسبب قوة هذه الحجة، ووضوحها لاذ ابو بكر بالصمت، فلم يجبها حول استدلالها ابداً وانما استعمل طريقة المراوغة بدلاً من مواجهة الحجة، فقد قال: «ان هذا المال لم يكن للنبي! وانما كان مالاً من اموال المسلمين! يحمل به النبي الرجال وينفقه في سبيل الله، فلما توفي وليته، كما كان يليه..»[2].

---

(١) سنثبت الخطبة كاملة في نهاية البحث ان شاء الله تعالى بسندها المعتبر.

(٢) شرف الدين: النص والاجتهاد هامش ص١٠٨ نقلا عن ابن ابي الحديد

او قال: ما تركه الرسول لا يورث فهو صدقة ـ كما رووا عنه ـ الى غير ذلك من اقوال تستبطن الاصرار على مصادرة اموال اهل البيت عليهم السلام ظلماً ومكابرة وعدواناً.

ثم انها خصمت الخليفة باستدلالها على احقيتها بميراث ابيها صلى الله عليه وآله بآيات الوصية والمواريث، كما يرث اولو الارحام بعضهم بعضاً في كتاب الله عزّ وجلّ، ثم قالت: ان استثناء ابيها رسول الله صلى الله عليه وآله من توريث اهله يحتاج الى دليل جلي من كتاب الله عز وجل يخصص النبي صلى الله عليه وآله دون امته، فقالت: «اخصكم الله بآية اخرج بها ابي؟» ثم اشارت الى انه لو كانت هناك آية استثنت أباها صلى الله عليه وآله في هذه الاحكام عن المسلمين لبيّنه رسول الله او وصيه، اذ هما اعلم بخصائص القرآن الكريم وأسراره، «أم انتم اعلم بخصوص القرآن وعمومه من ابي وابن عمي؟».

ثم انها يستحيل عليها الجهل بذلك ان كان له وجود وهي بنت النبوة، وشريكة حياة الوصي عليه السلام.

وهل يكتم عليها رسول الله صلى الله عليه وآله ووصيه شأناً من شؤونها المقررة في الشريعة وهي، هي في مكانتها منهما؟!

لقد ذهبت الزهراء المرضية الى اكثر من ذلك حتى انها حينما

← المعتزلي في شرح النهج وغيره.

ارادت ان تحرك ضمائر السامعين من المشاركين في الجريمة وغيرهم قالت: «ام تقولون أهل ملتين لا يتوارثان» مشيرة بذلك الى حديث رسول الله صلى الله عليه وآله المعروف عندهم: «لا توارث بين اهل ملتين».

واذن ـ هكذا ارادت ان تنبه الحضور ـ فهل تقولون حين تمنعوني ميراث ابي اني لست على ملته ودينه؟(١) لتكون لكم حجة بذلك، ولا حجة لكم ايها الظالمون.. ولا حول ولا قوة الاّ بالله العلي العظيم.

٢ ـ فدك نحلة فاطمة من ابيها صلى الله عليه وآله:

من دراستنا المقتضبة الموثقة حول ثروة النبي صلى الله عليه وآله وتركته، اتضح ان من الاموال التي كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله قرية فدك الزراعية المعروفة، وقد وهبها الرسول صلى الله عليه وآله لابنته فاطمة الزهراء عليها السلام بقرار من السماء ورد في سورتين من كتاب الله عزّ وجل: «وآت ذا القربى حقه»(٢).

ومنذ ذلك التاريخ كانت الزهراء عليها السلام تتصرف بتلك الملكية التي اختصت بها من دون الناس، وكان لها وكيلها الذي يخص تلك الارض المباركة بالعناية والاهتمام، وكان لها عمالها الذين يزرعون، ويروون، ويعتنون بالثمار..

---

(١) استفدنا من السيد شرف الدين: النص والاجتهاد: ١١٠.

(٢) الاسراء ٢٦، والروم ٣٨.

حتى اذا تسلم الخليفة ابو بكر شؤون المسلمين بعد اجتماع السقيفة واصدر قراراته بتأميم تركة النبي صلى الله عليه وآله كان من ضمن ما صادره قرية فدك ارضاً ونخلاً تحت شعار رفعه الخليفة ان رسول الله صلى الله عليه وآله حدثه دون غيره: انه لا يورث، وان ما تركه صدقة.. ولم يقبل المناقشة في ذلك..، ولم يقدم بينة على صحة قراره مع ان القاعدة التي يلتزم بها العقلاء عند الخصومة ـ عادة ـ ان تكون «البينة على من ادعى»، والخليفة قد ادعى ادعاء، مع ان ملكية فدك كانت في يد الصديقة الزهراء عليها السلام، وتحت تصرفها..

اقبلت الزهراء عليها السلام، وطالبته بفدك، فاتهمها الخليفة بالافتراء وعليها ان تأتي بالشهود، فجاءت بعلي عليه السلام وام ايمن بركة بن ثعلبة، فاعتبر الخليفة، نصاب الشهود ناقصا[1]، كما اعتبر وزيره الصحابي عمر ـ الذي كان له دور في مصادرة تركة النبي صلى الله عليه وآله ـ ان علياً عليه السلام لا تصح شهادته باعتباره يجر النار الى نفسه، فهو زوج الزهراء عليها السلام، وليس من الصحيح ان يكون احد الشهود[2]!!

قال الامام فخر الدين الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب في تفسير

---

(١) انظر الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي: آخر الشبهة السابعة نقلا عن شرف الدين: ١١٢.

(٢) شرح النهج: ابن ابي الحديد ١٦:٢٧٤.

آية الفيء من سورة الحشر ما يلي: «لما مات رسول الله صلى الله عليه وآله ادعت فاطمة انه كان ينحلها فدكا، فقال لها ابو بكر: انت اعزّ الناس علـيّ فقراً، واحبّهم اليّ غنىً، لكني لا اعرف صحة قولك، فـلا يـجوز ان احكم لك، «قال»: فشهدت لها ام ايمن، ومولىً لرسول الله، فـطلب منها ابو بكر الشاهد الذي يجوز قـبول شـهادته فـي الشـرع، فـلم يكن..»[١].

وقال ابن حجر في الصواعق: «ودعوى فاطمة انه صلى الله عليه وآله وسلم نحلها فدكاً لم تأتِ عليها الاّ بعلي وام أيمن فـلم يكـمل نصاب البينة ..»[٢].

وهكذا ختمت عملية مصادرة نحلة الصديقة الزهراء عليها السلام باصرار من الصحابي عمر وتبني من الخليفة ابي بكر.

وهنا لابد من ذكر جملة من الحقائق:

أ ـ ما ذكره العالم الباحث المرحوم محمود ابو رية المصري حول هذا الموضوع قال: بقي امر لابد ان نقول فيه كلمة صريحة، ذلك هو موقف ابي بكر من فاطمة «رضي الله عنها» بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وما

---

(١) مفاتيح الغيب: الجلد الثامن تفسير سورة الحشر، والمولى المذكور لرسول الله صلى الله عليه وآله: هو علي بن ابي طالب عليه السلام، ولكن الامام الرازي استحيى من ذكره فكنى عنه بالمولى، ولا حول ولا قوة الا بالله العليّ العظيم.

(٢) الصواعق المحرقة «الشبهة السابعة».

فعل معها في ميراث ابيها، لانا اذا سلمنا بـأن خـبر الآحـاد الظـني يخصص الكتاب القطعي، وانه قد ثبت ان النبي صلى الله عليه وآله قد قال: انـه لا يورث، وانه لا تخصيص في عموم هذا الخبر، فان ابا بكر كان يسعه ان يعطي فاطمة «رضي الله عنها» بعض تركة ابيها صلى الله عليه وآله، كأن يخصها بفدك، وهذا من حقه الذي لا يعارضه فيه احد، اذ يجوز للخليفة ان يخص من يشاء بما شاء «قال»، وقد خص هو نفسه الزبير بن العوام ومحمد بن مسلمة وغيرهما ببعض متروكات النبي صلى الله عليه وآله، على ان فدكاً هذه التي منعها ابو بكر فاطمة لم تلبث ان اقـطعها الخـليفة عـثمان لمروان..»[١].

ب ـ والعجب كل العجب من الخليفة حـين يـرد قـول فـاطمة الزهراء عليها السلام ويشك في دعواها، وهي المطهرة من الرجس[٢] بشهادة الله عزّ وجلّ، وسيدة نساء العالمين[٣]، والافـضل مـن مـريم بـنت عمران[٤]، والتي يغضب الله لغضبها[٥]، ويرضى لرضاها، وهي هي.. اما كان على الخليفة ان يرعى بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله، وابنته الوحيدة، ووديعته في امته فيتقي ايذاءها وظلمها اكراماً لرسـول الله، وتـقديراً

(١) مجلة الرسالة المصرية عدد٥١٨ س١١ ص٤٥٧، انظر شرف الدين:١١٣.
(٢) الاحزاب: ٣٠ آية التطهير.
(٣)و(٤)و(٥) انظر مصادرهذهالاحاديثفي هوامش شرف الدين:١١٤ ـ ١١٩.

لوديعته في امته ؟

٣ـ **سهم القربى ذلك الحق المسلوب:** شرع الله عزّ وجلّ سهم ذي القربى في سورة الانفال ضمن تشريعه لفريضة خمس المغنم ، قال تعالى : ﴿**واعلموا ان ما غنمتم من شيء فان لله خمسه، وللرسول، ولذي القربى، واليتامىٰ، والمساكين، وابن السبيل، انْ كنتم آمنتم بالله، وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان، والله على كل شيء قدير**﴾[١] .

فقد روى الامام الزمخشري جاد الله محمد بن عمر ت ٥٢٨ في تفسيره الكشاف عن ابن عباس رضي الله عنه قوله : ان الخمس كان على ستة اسهم : لله ، وللرسول سهمان ، وسهم لاقاربه حتى قبض ، فأجرى ابو بكر رضي الله عنه الخمس على ثلاثة ، وكذلك روي عن عمر ..[٢] .

وفي تفسير الثعلبي : قال المنهال بن عمرو : سألت علي بن الحسين «عليهما السلام» ، وعبدالله بن محمد بن علي عن الخمس ، فقالا : هو لنا ، فقلت لعلي بن الحسين : ان الله يقول : ﴿**واليتامى والمساكين وابن السبيل**﴾ . فقال : يتامانا ، ومساكيننا[٣] .

ويقسم فقه الامامية «الخمس» الى ستة اسهم ـ تبعاً لائمة اهل

---

(١) الأنفال : ٤١ .

(٢) الجزء ٢ :٢٢٢ .

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن : الشيخ ابو علي الطبرسي ٤ :٥٤٥ .

البيت عليهم السلام ـ لله ولرسوله صلى الله عليه وآله سهمان وهاذان مع سهم ذوي القربى للامام القائم مقام رسول الله صلى الله عليه وآله، والثلاثة الباقية للايتام والمساكين وابناء السبيل من ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل قرابته، لا يشاركهم فيها غيرهم، لأن الله تعالى حرم الصدقة عليهم، فعوضهم عنها بالخمس، كما روى ذلك الطبرسي في تفسيره عن الامام السجاد علي بن الحسين وولده الباقر وحفيده الصادق عليهم السلام[1].

وقد كتب ابن عباس جوابا لمن سأله عن سهم ذي القربى المذكورين في الآية، فقال: «انا كنا نرى ان قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله هم نحن، فأبى ذلك علينا قومنا»[2].

ويجمع المسلمون ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يختص بسهم من الخمس، ويخص اقاربه بسهم آخر منه، وكانت هذه سيرته حتى اختاره الله عزّ وجلّ الى الرفيق الاعلى[3].

وتعلل النصوص الصريحة هذه الخصوصية لقربى النبي صلى الله عليه وآله ان اهل البيت عليهم السلام وقرابتهم حرمت عليهم الصدقات فصار نصيبهم من الخمس، وهذه بعض النصوص التي تعكس هذه الحقيقة:

---

(١) نفس المصدر والصفحة ورواها الطبري في تفسيره: ١٠:٧.

(٢) صحيح مسلم «باب النساء الغازيات» في آخر كتاب الجهاد.

(٣) شرف الدين: ١٠١.

روى الطبري عن مجاهد قوله: «كان آل محمد صلى الله عليه وآله لا تحل لهم الصدقة، فجعل لهم خمس الخمس»[١].

وقال: قد علم الله ان في بني هاشم الفقراء، فجعل لهم الخمس مكان الصدقة[٢].

علاوة على ما ذكرنا من نصوص حول ذلك..

فلما انتقل رسول الله صلى الله عليه وآله الى الرفيق الاعلى، وصودرت تركة النبي صلى الله عليه وآله من قبل ابي بكر، جاءت فاطمة الزهراء عليها السلام فطالبت الخليفة بسهم ذي القربى: فقالت ام هاني بنت ابي طالب عليه السلام: ان فاطمة اتت ابا بكر، تسأله سهم ذوي القربى، فقال لها ابو بكر: سمعت رسول الله يقول: سهم ذوي القربى لهم في حياتي، وليس لهم بعد موتي[٣].

وعن الحسن بن محمد بن علي بن ابي طالب عليهم السلام: ان أبا بكر منع فاطمة، وبني هاشم سهم ذوي القربى، وجعله في سبيل الله في السلاح والكراع[٤].

---

(١) ٢ـ تفسير الطبري: ١٠: ٥، ورواه عنه السيد العسكري في المعالم ٢: ١٣١.

(٣) كنز العمال: ٥: ٣٦٧ نقلا عن السيد العسكري ٢: ١٥٣.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ٤: ٨١.

وهكذا تمت السيطرة التامة على عموم تركة النبي ﷺ وميراثه، وما جعله الله عزّ وجلّ لذي قرباه، وما اختصت به الصديقة الزهراء «عليها الصلاة والسلام».

فلما يئست الزهراء ﴿عليها السلام﴾ من نتائج المناظرات حول تجاوزات الحكومة على حقوق آل محمد ﷺ، ولم تجد آذانا صاغية لمناقشاتها المحقة، وعلمت ان المصادرة جرت مع سبق الاصرار، وانها رغم احضار الشهود في بعض المواقف، ورغم دعم علي ﴿عليه السلام﴾ والعباس بن عبدالمطلب ﴿رضي الله عنه﴾، وام أيمن وآخرين لها وحضورهم عند الخليفة الاّ ان اصرار الخليفة، ومهمته كانت اكبر من تلك المرافعات واكبر من مسألة الميراث..

اقول: لما يئست بنت النبي ﷺ من اولئك المصرين على ظلمها، ونهب حقوق آل النبي ﷺ توجهت الى مسجد ابيها محمد رسول الله ﷺ لتفضح الظالمين، والساكتين، ولتنبه الغافلين.

الزهراء عليها السلام تلقي خطابها التاريخي الخالد

لا نملك تاريخاً محدداً ليوم القاء الزهراء عليها السلام لخطابها التاريخي الخالد في المسجد النبوي الشريف امام المهاجرين والانصار، كما لا نملك جدولاً بيوميات التحرك الذي قاده اهل بيت النبوة عليهم السلام منذ اجتماع السقيفة حتى لحوق الصديقة الطاهرة بأبيها رسول الله صلى الله عليه وآله ... ولكننا على كل حال نمتلك ارقاماً ووثائق كثيرة يمكن ان تتكامل لتؤلف الصورة المناسبة لذلك التحرك الرسالي المبارك..

ومن ملاحظة لاحداث ما بعد السقيفة، وما لحق الاذى منها بأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، خصوصاً تلك القرارات او الاحداث السياسية المتسارعة، والخطط الاقتصادية الآثمة وغيرها التي استهدفت منابع الخير في هذه الامة الخاتمة، ومصادر البركة فيها: علي وآل علي عليهم الصلاة والسلام..

اقول: من ملاحظة فاحصة لتلك الاحداث يبدو للمتتبع للوثائق

والاحداث التاريخية في تلك المرحلة ان خطبة الزهراء عليها السلام كانت قد القيت في خضم الاحداث، وفي عنفوان المحنة، وشدة المأساة فإذْ علمت الزهراء عليها السلام ان المؤامرة قد أحكمت حلقاتها، وان المشرفين على تنفيذها لا يقفون عند حد، كانت خطبتها قمة التحدي والمواجهة للسلطان...

هذا وفي ثقافة اتباع أهل البيت عليهم السلام: ان اهل بيت النبوة عليهم السلام كما كانوا على علم بمحنتهم ـ اخباراً من رسول الله صلى الله عليه وآله ـ كانوا مكلفين بطريقة المواجهة وحدودها[1].

وهذا هو النص الكامل لخطبة الزهراء عليها السلام في مسجد النبي صلى الله عليه وآله:

روى عبدالله بن الحسن باسناده عن آبائه عليهم السلام قال: انه لما اجمع ابو بكر وعمر على منع فاطمة عليها السلام فدكا وبلغها ذلك، لاثت خمارها على رأسها، واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لمّة من حفدتها ونساء قومها، تطأ ذيولها، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله حتى دخلت على ابي بكر وهو في حشد من المهاجرين والانصار وغيرهم، فنيطت[2] دونها ملاءة، فجلست ثم انّت انّة اجهش القوم لها بالبكاء،

---

(١) الكافي ١:٢٦١ ـ ٢٦٢ حديث ٤ باب «ان الائمة يعلمون علم ما كان وما يكون...».

(٢) وفي رواية لابن ابي الحديد في «شرح النهج»، وصاحب كتاب «السقيفة

فارتجّ المجلس، ثم امهلت هنيئة حتى اذا سكن نشيج القوم وهدأت فورتهم ،افتتحت الكلام بحمدالله والثناء عليه والصلاة على رسوله صلى الله عليه وآله فعاد القوم في بكائهم، فلمّا امسكوا عادت في كلامها ،فقالت عليها السلام :

الحمد لله على ما انعم، وله الشكر على ما الهم، والثناء بما قدم، من عموم نعم ابتداها، وسبوغ آلاء اسداها، وتمام منن اولاها، جمّ عن الاحصاء عددها، ونأى عن الجزاء أمدها، وتفاوت عن الادراك ابدها، وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتّصالها واستحمد الى الخلائق باجزالها، وثنى بالندب الى امثالها، وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له، كلمة جعل الاخلاص تأويلها، وضمن القلوب موصولها، وأنار في التفكّر معقولها. الممتنع من الابصار رؤيته، ومن الألسن صفته، ومن الأوهام كيفيّته، ابتدع الاشياء لا من شيء كان قبلها، وأنشأها بلا احتذاء امثلة امتثلها، كوّنها بقدرته، وذرأها بمشيّته، من غير حاجة منه الى تكوينها، ولا فائدة له في تصويرها، الاّ تثبيتاً لحكمته، وتنبيهاً على طاعته،

← وفدك» : فضرب بينها وبينهم ريطة بيضاء. وقال بعضهم : قبطية، وقالوا: قُبطيّة ـ بالكسر والضمّ.

والريطة : الازار، والقبطيّة ثياب منسوبة الى القبط. وقال في معجم البلدان : ٤: ٣٠٦ القبط ـ بالكسر ثم السكون : بلاد القبط بالديار المصرية سميّت بالجبل الذي كان يسكنه، ونيطت : علقت «وعبد الله بن الحسن هو عبد الله المحض بن الحسن المثنىٰ بن الحسن بن علي بن ابي طالب عليه السلام وسمي المحض لأن أباه الحسن بن الحسن عليه السلام وأمه فاطمة بنت الحسين عليه السلام / انظر هامش الاحتجاج : ٩٧».

واظهاراً لقدرته وتعبّداً لبريّته واعزازاً لدعوته، ثم جعل الثواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته، ذيادة[١] لعباده عن نقمته وحياشة[٢] لهم الى جنّته.

واشهد ان ابي محمداً عبده ورسوله اختاره قبل ان ارسله وسمّاه قبل ان اجتباه، واصطفاه قبل ان ابتعثه، اذ الخلائق بالغيب مكنونة، وبستر الاهاويل مصونة، وبنهاية العدم مقرونة، علماً من الله تعالى بما يلي الامور، واحاطة بحوادث الدهور، ومعرفة بمواقع الامور، ابتعثه الله اتماما لامره، وعزيمة على امضاء حكمه، وانفاذاً لمقادير حتمه، فرأى الامم فرقاً في أديانها، عكّفاً على نيرانها، عابدة لأوثانها، منكرة لله مع عرفانها.

فأنار الله بأبي محمد صلى الله عليه وآله ظُلمها، وكشف عن القلوب بُهمَها[٣]، وجلى عن الابصار غممها[٤]، وقام في الناس بالهداية فأنقذهم من الغواية، وبصّرهم من العماية وهداهم الى الدين القويم، ودعاهم الى الطريق المستقيم.

ثمّ قبضه الله اليه قبض رأفة واختيار، ورغبة وايثار، فمحمد صلى الله عليه وآله من تعب هذه الدار في راحة، قد حفّ بالملائكة الابرار، ورضوان الربّ الغفّار، ومجاورة

---

(١) زيادة، في الاصل. ما اثبتناه من مصباح الانوار وذيادة: دفعاً لهم عن النقمة والبلاء.

(٢) حياشة: جمعا وسوقا.

(٣) البهم: معضلات الامور ومشكلاتها.

(٤) الغمم: جمع غمة، وهي الملتبس من الامور.

الملك الجبار، صلى الله على ابي نبيه، وامينه، وخيرته من الخلق وصفيه، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته.

ثم التفتت الى اهل المجلس وقالت: انتم عباد الله نصب امره ونهيه، وحملة دينه ووحيه، وأُمناء الله على انفسكم، وبلغائه الى الامم، زعيم حقّ له فيكم، وعهد قدّمه اليكم، وبقيّة استخلفها عليكم: كتاب الله الناطق، والقرآن الصادق، والنور الساطع، والضياء اللامع، بيّنة بصائره، منكشفة سرائره، منجلية ظواهره، مغتبطة به أشياعه، قائداً الى الرضوان اتّباعه، مؤدٍّ الى النجاة استماعه، به تنال حجج الله المنوّرة، وعزائمه المفسّرة، ومحارمه المحذّرة، وبيّناته الجالية، وبراهينه الكافية، وفضائله المندوبة، ورخصه الموهوبة، وشرائعه المكتوبة.

فجعل الله الايمان: تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة: تنزيهاً لكم عن الكبر. والزكاة: تزكية للنفس، ونماء في الرزق. والصيام: تثبيتاً للاخلاص. والحج: تشييداً للدين. والعدل: تنسيقاً للقلوب. وطاعتنا: نظاماً للملّة. وامامتنا: أماناً للفرقة. والجهاد: عزاً للاسلام. والصبر: معونة على استيجاب الاجر. والامر بالمعروف: مصلحة للعامة. وبر الوالدين: وقاية من السخط. وصلة الارحام: منسأة في العمر ومنماة للعدد. والقصاص: حقناً للدماء، والوفاء بالنذر: تعريضاً للمغفرة، وتوفية المكائيل والموازين: تغييراً للبخس. والنهى عن شرب الخمر: تنزيهاً عن الرجس. واجتناب القذف: حجاباً عن اللعنة، وترك

السرقة: ايجاباً بالعفة. وحرّم الله الشرك اخلاصاً له بالربوبية.

فاتّقوا الله حقّ تقاته، ولا تموتن الا وانتم مسلمون، واطيعوا الله فيما امركم به ونهاكم عنه، فانه انما يخشى الله من عباده العلماء.

ثم قالت : ايها الناس اعلموا اني فاطمة وأبي محمد اقول عوداً وبدواً، ولا اقول ما اقول غلطاً، ولا افعل ما افعل شططاً «لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم»(١) فان تعزوه وتعرفوه، تجدوه أبي دون نسائكم، واخا ابن عمي دون رجالكم، ولنعم المعزّى(٢) اليه فبلّغ الرسالة، صادعاً بالنذارة(٣) مائلاً عن مدرجة المشركين، ضارباً ثبجهم(٤) آخذاً بأكظامهم(٥) داعياً الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، يجف الاصنام وينكث الهام، حتى انهزم الجمع وولّوا الدبر، حتى تفرّى الليل عن صبحه، وأسفر الحق عن محضه، ونطق زعيم الدّين وخرست شقاشق الشياطين، وطاح وشيظ(٦) النفاق، وانحلّت عقد الكفر والشقاق، وفهتم(٧)

---

(١) التوبة : ١٢٨.

(٢) المعزّى : الانتساب.

(٣) صادعا : مبينا، والنذارة : الانذار.

(٤) الثبج : وسط الشيء ومعظمه.

(٥) الكظم : مخرج النفس من الحلق.

(٦) الوشيظ : الخسيس من الناس.

(٧) فهتم : تلفّظتم.

بكلمة الاخلاص في نفر من البيض الخماص[١] وكنتم على شفا حفرة من النار، مذقة[٢] الشارب ونهزة[٣] الطامع، وقبسة العجلان، وموطىء الاقدام تشربون الطّرَق[٤]، وتقتاتون القدّ[٥] أذلّة خاسئين، تخافون ان يتخطّفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد صلى الله عليه وآله بعد اللتيا والّتي، وبعد أن مني ببهم[٦] الرجال وذؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب، كلّما أوقدوا ناراً للحرب اطفأها الله، او نجم قرن الشيطان[٧]، او فغرت فاغرة[٨] من المشركين قذف اخاه في لهواتها فلا ينكفىء حتى يطأ جناحها بأخمصه[٩] ويخمد لهبها بسيفه، مكدوداً في ذات الله، مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله، سيّداً في اولياء الله، مشمّراً ناصحاً، مجدّاً كادحاً، لا تأخذه في الله لومة لائم، وأنتم في رفاهية من العيش وادعون فاكهون آمنون، تتربّصون بنا

(١) الخماص: الجياع أصلاً والبيض الخماص : المراد بهم أهل البيت عليهم السلام .
(٢) المذقة : اللبن الممزوج بالماء كناية عن سهولة شربه .
(٣) النهزة : الفرصة .
(٤) الطّرق : الماء الذي خاضته الابل وبالت فيه .
(٥) القدّ : قطعة جلد غير مدبوغ .
(٦) البهم: الشجعان الاقوياء .
(٧) نجم قرن الشيطان : طلع أتباعه .
(٨) الفاغرة : الطائفة من المشركين .
(٩) الاخمص : باطن القدم .

الدوائر[١] وتتوكّفون الاخبار[٢] وتنكصون عند النزال، وتفرّون من القتال، فلمّا اختار الله لنبيه صلى الله عليه وآله دار أنبيائه، ومأوى اصفيائه، ظهر فيكم حسكة[٣] النفاق، وسمل جلباب الدين، ونطق كاظم[٤] الغاوين ونبغ خامل الاقلّين، وهدر فنيق؛[٥] المبطلين، فخطر في عرصاتكم واطلع الشيطان رأسه من مغرزه[٦] هاتفا بكم فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللغرّة فيه ملاحظين، واستنهضكم فوجدكم خفافا، وأحشمكم[٧] فألفاكم غضاباً، فوسمتم غير ابلكم، ووردتم غير مشربكم، هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لمّا يندمل، والرسول لمّا يقبر، ابتدارا[٨] زعمتم خوف الفتنة «ألا في الفتنة سقطوا وانّ جهنّم لمحيطة بالكافرين»[٩] فهيهات منكم، وكيف بكم، وأنّى تؤفكون، وكتاب الله بين اظهركم أموره ظاهرة، وأحكامه زاهرة، وأعلامه باهرة، وزواجره لايحة، وأوامره

---

(١) الدوائر: العواقب السيئة.
(٢) تتوكفون الاخبار: تنتظرون أخبار السوء بنا.
(٣) الحسكة: العداوة والحقد.
(٤) كاظم: ساكت
(٥) الهدير: ترديد البعير صوته في حنجرته. والفنيق: الفحل المكرّم من الابل الذي لا يهان ولا يركب لكرامته على اهله.
(٦) مغرزه: مخبئة.
(٧) احشمكم: اغضبكم.
(٨) ابتدر القوم: تسابقوا في الأمر.
(٩) التوبة: ٤٩.

واضحة، وقد خلّفتموه وراء ظهوركم، أرغبة عنه تريدون؟ ام بغيره تحكمون؟ «بئس للظالمين بدلا»[١] «ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين»[٢] ثمّ لم تلبثوا الاّ ريث ان تسكن نفرتها[٣]، ويسلس[٤] قيادها، ثم اخذتم تورون وقدتها، وتهيجون جمرتها، وتستجيبون لهتاف الشيطان الغويّ، واطفاء انوار الدين الجليّ، واهمال سنن النبيّ الصفيّ صلى الله عليه وآله تشربون حسواً في ارتغاء[٥] وتمشون لاهله وولده في الخَمرَة والضراء ويصير منكم على مثل حزّ المدى ووخز السِنان في الحشاء[٦]، وأنتم الآن تزعمون: أن لا ارث لنا، أفحكم الجاهلية تبغون؟ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون! أفلا تعلمون؟! بلى قد تجلّى لكم كالشمس الضاحية: أنّي ابنته.

أيها المسلمون أأغلب على ارثي؟

يا ابن أبي قحافة افي كتاب الله ترث اباك ولا ارث ابي؟ لقد جئت شيئاً فريا!

---

(١) الكهف: ٥.

(٢) آل عمران: ٨٥.

(٣) نفرتها: جزعها.

(٤) يسلس: يسهل.

(٥) الحسو: الشرب شيئا بعد شيء. والارتغاء: شرب الرغوة، وهي اللبن الممزوج بالماء، وجملة حسوا في ارتغاء: مثل يضرب لمن يظهر امرا وهو يريد غيره.

(٦) الخمر: ما يستر من الشجر وغيره والضراء: الشجر الملتف في الوادي.

أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟ اذ يقول: «وورث سليمان داود»[(١)] وقال: فيما اقتصّ من خبر يحيى بن زكريا اذ قال: «فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب»[(٢)] وقال: «وأولو الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله»[(٣)] وقال «يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظّ الأنثيين»[(٤)] وقال: «ان ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقّاً على المتقين»[(٥)].

وزعمتم: ان لا حظوة لي ولا ارث من أبي، ولا رحم بيننا، أفخصّكم الله بآية أخرج أبي منها؟ ام هل تقولون: انّ اهل ملّتين لا يتوارثان؟ أولست انا وأبي من أهل ملّة واحدة؟ أم انتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمّي؟

فدونكها مخطومة مرحولة[(٦)] تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمد صلى الله عليه وآله، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولا ينفعكم اذ تندمون، ولكلّ نبأ مستقر وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحلّ عليه

---

(١) النمل: ١٦.

(٢) مريم: ٥،٦.

(٣) الانفال: ٧٥.

(٤) النساء: ١١.

(٥) البقرة: ١٨.

(٦) دونكها: اي خذها. والخطام: الزمام ـ والرحل للناقة كالسرج للفرس، والمقصود: اي تحمَّل وزر اخذك الظالم لفدك يوم القيامة.

عذاب مقيم.

ثمّ رمت بطرفها نحو الانصار فقالت:

يا معشر النقيبة[١] واعضاء الملة وحضنة الاسلام، ما هذه الغميزة[٢] في حقي والسِنة عن ظلامتي؟ اما كان رسول الله صلى الله عليه وآله ابي يقول: «المرء يحفظ في ولده»؟ سرعان ما احدثتم وعجلان ذا اهالة[٣] ولكم طاقة بما اُحاول، وقوة على ما اطلب وأزاول، اتقولون مات محمد صلى الله عليه وآله؟ فخطب جليل استوسع وهنه واستنهر[٤] فتقه وانفتق رتقه[٥] واظلمت الارض لغيبته، وكسفت الشمس والقمر وانتثرت النجوم لمصيبته واكدت الآمال وخشعت الجبال، واُضيع الحريم، وأُزيلت الحرمة عند مماته، فتلك والله النازلة الكبرى، والمصيبة العظمى، لا مثلها نازلة، ولا بائقة[٦] عاجلة، اعلن بها كتاب الله جلّ ثناؤه في افنيتكم، وفي ممساكم ومصبحكم، يهتف في افنيتكم هتافاً، وصراخاً وتلاوة والحاناً ولقبله ما حلّ بأنبياء الله ورسله حكم فصل، وقضاء حتم: «وما محمد الاّ

---

(١) النقيبة : الفتية .
(٢) الغميزة : نقص في العقل او العمل .
(٣) الاهالة: الودك وهو دسم اللحم. وجملة «سرعان ذا اهالة» مثل يضرب لمن يخبر بكينونة الشيء قبل وقته.
(٤) استنهر : اتّسع .
(٥) انفتق رتقه : أي انشق المكان الملتئم منه .
(٦) البائقة : الداهية .

رسول قد خلت من قبله الرسل أفأن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين»[١].

إيهاً بني قيلة[٢] أأهضم تراث ابي؟ وانتم بمرأى منّي ومسمع، ومنتدى[٣] ومجمع، تلبسكم الدعوة، وتشملكم الخبرة، وانتم ذوو العدد والعدّة، والاداة والقوة وعندكم السلاح والجنّة، توافيكم الدعوة فلا تجيبون، وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون، وانتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح، والنخبة التي انتخبت والخيرة التي اختيرت لنا اهل البيت قاتلتم العرب وتحملتم الكد والتعب وناطحتهم الامم وكافحتهم البهم لا نبرح او تبرحون نأمركم فتأتمرون حتى اذا دارت بنا رحى الاسلام ودرّ حلب الايام، وخضعت ثغرة الشرك وسكنت فورة الافك وخمدت نيران الكفر وهدأت دعوة الهرج واستوسق[٤] نظام الدين، فأنى حزتم بعد البيان؟ وأسررتم بعد الاعلان؟ ونكصتم بعد الاقدام؟ واشركتم بعد الايمان؟

بؤساً لقوم نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم، وهمّوا باخراج الرسول، وهم بدأوكم اوّل مرة اتخشونهم فالله احقّ ان تخشوه ان كنتم مؤمنين، ألا وقد أرى

---

(١) آل عمران: ١٤٤.

(٢) بنو قيلة: هم الانصار من الاوس والخزرج.

(٣) المنتدى: النادي بمعنى المجلس.

(٤) استوسق: اجتمع وانتظم.

ان قد اخلدتم الى الخفض[١] وابعدتم من هو احق بالبسط والقبض، وخلوتم بالدعة[٢] ونجوتم بالضيق من السعة، فمججتم[٣] ما وعيم، ودسعتم[٤] الذي تسوّغتم[٥] فان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد[٦] ألا وقد قلت ما قلت هذا على معرفة منّي بالجذلة[٧] التي خامرتكم[٨] والغدرة التي استشعرتها قلوبكم، ولكنّها فيضة النفس[٩] ونفثة الغيظ، وخور القناة[١٠] وبثّة الصدر[١١] وتقدمة الحجة، فدونكموها فاحتقبوها[١٢] دبرة[١٣] الظهر، نقبة الخف[١٤] باقية العار موسومة بغضب الجبار، وشنار

---

(١) الخفض: السعة في العيش.

(٢) الدعة: الراحة والسكون.

(٣) مججتم: رميتم.

(٤) دسعتم: تقيّأتم.

(٥) تسوّغتم: شربتم بسهولة.

(٦) اقتباس من سورة ابراهيم: ٨

(٧) جذل: فرح.

(٨) خامرتكم: خالطتكم.

(٩) فيضة النفس: اظهار المضمر في النفس لاستيلاء الهمّ وغلبة الحزن.

(١٠) كناية عن ضعف النفس.

(١١) بثة الصدر: اظهار ما فيه من الحزن.

(١٢) احتقبوها: احملوها على ظهوركم.

(١٣) الدبرة: قرحة الدابة تحدث من الرحل ونحوه.

(١٤) نقبة الخف: رقّته.

الابد، موصولة بنار الله الموقدة التي تطّلع على الافئدة فبعين الله ما تفعلون «وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون»(١) وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد فاعملوا انّا عاملون، وانتظروا انّا منتظرون.

فأجابها ابو بكر عبدالله بن عثمان، وقال:

يا بنت رسول الله لقد كان ابوك بالمؤمنين عطوفاً كريماً، رؤوفاً رحيماً، على الكافرين عذاباً اليماً وعقاباً عظيماً ان عزوناه(٢) وجدناه اباك دون النساء، واخا الفك دون الاخلاء(٣) آثره على كل حميم وساعده في كل امر جسيم لا يحبّكم الا سعيد ولا يبغضكم الا شقي بعيد، فأنتم عترة رسول الله الطيبون الخيرة المنتجبون على الخير ادلّتنا، والى الجنة مسالكنا.

وانت يا خيرة النساء، وابنة خير الانبياء صادقة في قولك سابقة في وفور عقلك غير مردودة عن حقّك ولا مصدودة عن صدقك، والله ما عدوت رأي رسول الله صلى الله عليه وآله ولا عملت الا بأذنه والرائد لا يكذب اهله، واني أُشهد الله وكفى به شهيدا، أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «نحن معاشر الانبياء لا نورث ذهبا ولا فضة ولا داراً ولا عقاراً وانما

---

(١) الشعراء: ٢٧٧.

(٢) عزوناه: نسبناه.

(٣) الاخلاء: مفرده الخليل وهو الصديق.

نورّث الكتاب والحكمة والعلم والنبوة وما كان لنا من طعمة فلولي الامر بعدنا ان يحكم فيه بحكمه» وقد جعلنا ما حاولته في الكراع[١] والسلاح يقاتل بها المسلمون ويجاهدون الكفّار، ويجالدون[٢] المردة الفجّار وذلك باجماع من المسلمين[٣] لم انفرد به وحدي ولم استبد بما كان الرأي عندي وهذه حالي ومالي هي لك وبين يديك لا تزوي[٤] عنك، ولا تدخر دونك، وانك وانت سيدة امة ابيك، والشجرة الطيبة لبنيك، لا ندفع مالك من فضلك، ولا يوضع في فرعك واصلك، حكمك نافذ فيما ملكت يداي فهل ترين ان اُخالف في ذلك

---

(١) الكراع: بضم الكاف ـ جماعة الخيل.

(٢) يجالدون: يضاربون.

(٣) قال ابن ابي الحديد في شرح النهج: ١٦: ٢٢١: انه لم يرو حديث انتفاء الارث الا ابو بكر وحده. وله كلام في ذلك ايضا في ص٢٧٧ و٢٢٨ فراجع.
وقال السيوطي في تاريخ الخلفاء: ٦٨ واخرج ابو القاسم البغوي، وابو بكر الشافعي في فوائده وابن عساكر عن عائشة قالت: اختلفوا في ميراثه صلى الله عليه وآله فما وجدوا عند احد من ذلك علما فقال ابو بكر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّا معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة.
قال المؤلف: لقد وضعوا عدة احاديث تؤيد الخليفة فيما ادعى، اما ادعاء عائشة ان الناس اختلفوا في مسألة ميراث النبي صلى الله عليه وآله فيحتاج الىٰ تأمل فأن ميراث الرسول صلى الله عليه وآله واضح الموارد والمصادر من خلال آيات الوصية، ومن الطبيعي ان ام المؤمنين عائشة تقف الى جانب ابيها ابي بكر فيما ادعاه !

(٤) لا تزوي: لا تمنع.

اباك صلى الله عليه وآله ؟

فقالت عليها السلام : **سبحان الله ما كان ابي رسول الله صلى الله عليه وآله عن كتاب الله صادفا[١] ولا لاحكامه مخالفا! بل كان يتّبع اثره ويقفو سوره، افتجمعون الى الغدر اعتلالاً عليه بالزور، وهذا بعد وفاته شبيه بما بغى له من الغوائل[٢] في حياته، هذا كتاب الله حكما عدلا، وناطقا فصلا يقول: ﴿يرثني ويرث من آل يعقوب﴾[٣] ويقول: ﴿وورث سليمان داود﴾[٤] وبين عز وجل فيما وزّع من الاقساط، وشرع من الفرائض والميراث، وأباح من حظّ الذكران والاناث ما ازاح به علة المبطلين، وازال التظنّي والشبهات في الغابرين كلّا بل سوّلت لكم انفسكم امراً فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون.**

فقال ابو بكر : صدق الله ورسوله ، وصدقت ابنته انت معدن الحكمة وموطن الهدى والرحمة ، وركن الدين ، وعين الحجة ، لا ابعد صوابك ، ولا انكر خطابك هؤلاء المسلمون بيني وبينك ، قلّدوني ما تقلّدت ، وباتفاق منهم اخذت ما اخذت غير مكابر ولا مستبد ، وهم بذلك شهود .

---

(١) صادفاً : معرضاً .

(٢) الغوائل : المهالك .

(٣) مريم : ٦ .

(٤) النمل : ١٦ .

فالتفت فاطمة عليها السلام الى الناس وقالت:

معاشر المسلمين المسرعة الى قيل الباطل، المغضية(١) على الفعل القبيح الخاسر، أفلا تتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها؟ كلاّ بل ران على قلوبكم ما اسأتم من اعمالكم، فأُخذ بسمعكم وابصاركم ولبئس ما تأولتم، وساء ما به اشرتم، وشر ما منه اغتصبتم، لتجدن والله محملَهُ ثقيلا، وغبّه(٢) وبيلا، اذا كشف لكم الغطاء وبان ما وراءه(٣) الضراء، وبدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحتسبون «وخسر هنالك المبطلون»(٤).

ثم عطفت على قبر النبي صلى الله عليه وآله وقالت:

قد كان بعدك انباء وهنبثة(٥) لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
انا فقدناك فقد الارض وابلها واختلّ قومك فاشهدهم ولا تغب
وكلّ اهل له قربى ومنزلة عند الاله على الادنين مقترب
ابدت رجال لنا نجوى صدورهم لمّا مضيت وحالت دونك الترب

---

(١) المغضية: غض طرفه اي اطبقه، والمغضية اي المطبقة.

(٢) غبّه: عاقبته.

(٣) في الاحتجاج: ١٠٦ بإورائه، وما اثبتناه من البحار: اي ما ظهر لكم الشيء الذي وراءه الشدة.

(٤) غافر: ٧٨.

(٥) الهنبثة: الامر الشديد.

تـــجهّمتنا رجـــال واســـتخفّ بـــنا لمّـــا فـــقدت وكـــلّ الارض مـغتصب
وكـــنت بـــدراً ونـــوراً يسـتضاء بـه عـــليك يـنزل مـن ذي العـزة الكـتب
وكـــان جـــبريل بـــالآيات يـــؤنسنا فـــقد فـــقدت وكـــلّ الخـير مـحتجب
فـــليت قـــبلك كـــان المـوت صـادفنا لمّا مضيت وحـالت دونك الكُـثُب[1]

ثم انكفأت عليها السلام وامير المؤمنين عليه السلام يتوقّع رجوعها اليه، ويـتطلع طلوعها عليه فلما استقرّت بها الدار، قالت لامير المؤمنين عليه السلام:

يا ابن ابي طالب، اشتملت شملة الجنين، وقعدت حجرة الظـنين نـقضت قادمة الاجدل[2] فخانك ريش الاعزل، هذا ابن ابي قحافة يـبتزّني نـحلة ابـي وبلغة ابني! لقد اجهد في خصامي والفيته الدّ في كلامي حتى حبستني قـيلة نصرها، والمهاجرة وصلها، وغضّت الجماعة دوني طرفها، فلا دافع ولا مانـع، خرجت كاظمة، وعدت راغمة اضرعت خدّك يوم اضعت حدك، افترست الذئاب وافترشت التراب ما كففت قائلاً، ولا اغـنيت طـائلاً، ولا خـيار لي، ليـتني متّ قبل هنيئتي ودون ذلّتي، عذيري الله منه عادياً ومنك حامياً، ويـلاي فـي كلّ شارق! ويلاي في كلّ غارب! مـات العـمد، ووهـن العـضد، شكـواي الى ابـي! وعدواي الى ربي.

---

(١) الكُثُب: بضمتين يعني الرمل.
(٢) قوادم الطير: مقاديم ريشه، وهي عشر في كل جـناح، واحـدتها: قـادمة. والاجدل: الصقر.

اللّهم انك اشدّ منهم قوة وحولاً، واشد بأساً وتنكيلاً.

فقال امير المؤمنين عليه السلام: لا ويل لك، بل الويل لشانئك، ثم نهنهي عن وجدك يا ابنة الصفوة، وبقية النبوة، فما ونيت عن ديني، ولا اخطأت مقدوري، فان كنت تريدن البلغة، فرزقك مضمون، وكفيلك مأمون، وما أُعدّ لك افضل مما قطع عنك، فاحتسبي الله، فقالت حسبي الله وأمسكت(١).

---

(١) الاحتجاج للطبرسي: ١: ١٣١، عنه البحار ٨: ١٠٩ (ط حجر) ورواه في مصباح الانوار: ٢٤٧ (قطعة) عن زيد بن علي، عن ابيه، عن عمّته زينب بنت علي «عليه السلام». وبلاغات النساء: ١٢ ـ ١٤ عن جعفر بن محمد، عن ابيه، عن موسى بن عيسى، عن عبدالله بن يونس، عن جعفر الاحمر، عن زيد بن علي (قطعة). ورواه باسناده عن عبدالله بن الحسن، عن ابيه «عليه السلام». ودلائل الامامة: ٣١ عن العباس بن بكار، عن حرب بن ميمون، عن زيد بن علي، عن آبائه عليهم السلام (قطعة)، والطرائف: ٢٦٣ ح٣٦٨ نقلا عن كتاب الفائق عن الاربعين، عن عائشة (مثله). وكشف الغمة: ١: ٤٨٠ نقلا عن كتاب السقيفة (باسناده) عن عمر بن شبّه (قطعة). وشرح النهج ١٦: ٢١١ وص٢٤٩ بعدة طرق عن زينب بنت علي «عليهما السلام»، وعن الحسن «عليه السلام»، وعن ابي جعفر «عليه السلام»، وعن عائشة. اهل البيت: ١٥٨ (قطعة)، عنه الاحقاق: ١٩: ١٦٤ واعلام النساء: ٣: ١٢٠٨ (قطعة)، والجوهري في كتابه على ما في تظلّم الزهراء عليها السلام: ٣٨ قطعة، عنه الاحقاق: ١٠: ٣٠٥. كتاب السقيفة: ٩٨ اورده في المناقب: ٢: ٥٠، عنه البحار ٤٣: ١٤٨ ح٤، ورواه عوالم العلوم في باب ٢١ منه عن الاحتجاج، وروىٰ جلّها الخوارزمي في مقتل الحسين عن عائشة ١: ٧٧ ـ ٧٨ وغيرها.
الشانيء: المبغض. نهنهي: كفي عن حزنك وخففي من غضبك.

الزهراء عليها السلام في خط المواجهة

مقدمـة:

واجهت اهل بيت النبوة عليهم السلام ظروف واوضاع مختلفة من الناحية السياسية والاجتماعية والثقافية الامر الذي وفـر الارضـية لتـختلف خطط الائمة عليهم السلام واساليب عملهم للاسلام واهدافهم العظمى من فترة لاخرى تبعاً لاختلاف تلك الاوضاع والظروف.

حتى انك حين تقرأ سيرة الائمة من آل محمد «صلى الله عـليهم اجمعين» تجد صوراً عديدة من الاساليب واطر العمل والحركة مـن اجل دين الله عز وجل، وارساء قواعد مبادئه وقيمه في دنيا الناس، وقد تجد في حياة الامام الواحد من ائمة اهل البيت عليه السلام مجموعة من اساليب العمل ووسائله بسبب التغيرات التي تطرأ في حياة الامام عليه السلام ذاته!

وتبرز من خلال السيرة العامة للائمة من اهل البيت «عليهم الصلاة

والسلام» الاطر والاساليب الآتية للتحرك والعمل والمقاومة:

١ ـ المقاومة المسلحة للانحراف والمنحرفين عن الحق طالما وجد للانتصار سبيل: وقد نفذ هذه الطريقة في التحرك والعمل امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام في مرحلة توليه الحكم، وتملكه لمصادر القوة في حياة المسلمين، حيث قاد الجيوش لمحاربة البغاة الناكثين في حرب الجمل في البصرة، كما قاتل المارقين الخوارج في النهروان، والقاسطين في صفين، وقد سبقه رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك حين امتلك مصادر القوة بعد الهجرة المباركة.

وقد كان الامام الحسن بن علي عليه السلام قد حاول ان يوفر مستلزمات هذا اللون من التحرك في عصره لمواجهة الردة في بلاد الشام بقيادة معاوية بن ابي سفيان، الا ان قوة العدو، وعدم توفر اسباب النصر، جعل الامام ينتقل الى خط ثان من المواجهة والعمل والبناء.

٢ ـ المقاومة المسلحة حتى بلوغ الشهادة، وان قلّ الناصر لما في ذلك من مصلحة كبرى في الشهادة، ذاتها: وقد جسد هذا الاتجاه من العمل في سبيل الله ورسالته المقدسة سبط رسول الله الحسين بن علي بن ابي طالب «عليهم الصلاة والسلام»، ومن معه من بني هاشم وانصارهم، حيث واجهوا جيش الطغيان الاموي في معركة تاريخية نموذجية، قضوا خلالها شهداء من اجل الله والحق، وفضحوا الظالمين

الطغاة، وافشلوا مشاريع الانحراف التي بدأت بالسقيفة، وفتحوا عيون المغفلين على حقيقة الاوضاع التي سادت حياة الامة خصوصاً في عهود بني امية من الظلم، والطغيان والانحراف عن دين الله عز وجل، واحكامه، والتخطيط المتعمد لنشر الرذيلة والفساد، والبغي على عباد الله عز وجل في ارضه..

وكان لتلك الاجساد المضرجة بالدماء المقدسة الطاهرة الدور الاول في احياء الحق، وفتح قلوب الناس على قيم الله عز وجل ليحيا من حي عن بينة، ويهلك من هلك عن بينة.

ولا يمكننا ان ندخل التحركات العسكرية للعلويين الاخرين ضمن هذا المحور من التحرك العسكري لان اولئك العلويين لا يشكلون الحالة العامة، او المحورية لعمل الائمة عليهم السلام، وانما قد يتحرك اولئك الثوار تحركاً عسكرياً بينما لا يتبنى المحور المركزي لآل رسول الله صلى الله عليه وآله وهو الامام المعصوم عليه السلام الاسلوب المسلح، وان كان ربما يدعم التحرك المسلح سرياً لهز عروش الظالمين بين حين وآخر، كما رأينا ذلك واضحاً بالنسبة لحركة زيد بن علي عليه السلام في ايام الامام محمد بن علي الباقر عليه السلام وحركة حسين فخ في ايام الامام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام وامثال ذلك.

على ان تحركات اولئك الثوار لا تشكل المنحنى العام لخط الامام

في عصرهم، ولكن ربما يدخل عملهم في تكتيكات عمل الامام عليه السلام اثناء تحرك اولئك الثوار اذا كانوا على صلة حقيقية بخط الامامة الشرعية.

ولذا نجد عدداً من ائمة آل البيت عليهم السلام يعلنون دعمهم لذلك اللون من التحرك ويجهرون بشرعيته احياناً.

يقول الإمام الصادق عليه السلام حول تلك التحركات المشروعة: «لا أزال أنا وشيعتي بخير ما خرج الخارجي من آل محمد، ولوددت أن الخارجي من آل محمد خرج، وعليَّ نفقة عياله». ويقول الإمام الكاظم موسىٰ بن جعفر عليه السلام مخاطباً الحسين بن علي قتيل فخ: «يا ابن عم انك مقتول... فأحد الضراب... وعند الله احتسبكم من عصبة».

٣ ـ **المقاومة غير المسلحة حتى الشهادة:** وهذه المقاومة قد تكون سلمية في اساليبها، وفي ظاهرها الا انها قد تحقق في بعض الظروف والاوضاع ما لا تحققه المقاومة المسلحة من ناحية النتائج الايجابية لصالح الرسالة والامة..

اما وسائل هذا اللون من المقاومة، فهو فضح الظلم، والاحتجاج على الظالمين بالكلمة المباشرة او بتحريض الناس مباشرة او عن طريق الآخرين، او بالقاء الخطب او المقاطعة او غير ذلك من

الاساليب السياسية السلمية في مصطلحاتنا الحديثة..

وقد تؤدي هذه المواجهة الى استعمال العنف من قبل الانظمة الظالمة والطغاة مثل الضرب والقتل او الحرمان من الحقوق او التشهير او التشويه للسمعة او السجن، والمطاردة والاتهام..

وقد تبنى هذا الاسلوب من المقاومة للظالمين الصديقة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ـ كما سنبين ـ وحفيدها الامام موسى بن جعفر الكاظم سابع ائمة اهل البيت عليهم السلام ـ الذي توج مقاومته السياسية للظالمين من بني العباس ان قضى شهيداً في سجون بغداد العاصمة العباسية يومذاك.

وسنتناول هذا اللون من التحرك بشيء من التفصيل في هذا البحث لعلاقته بالنهضة الفاطمية المباركة التي قادتها الزهراء عليها السلام.

٤ ـ اسلوب التعايش السلمي مع استثمار كل مناسبة لتبيان الحق، وارشاد الضالين، والمغفلين: ان الظروف والاوضاع التي تعيشها الامة وحركة التغيير من اجل الاسلام، تتحكم في صياغة اساليب العمل والتحرك من اجل الاسلام محكومة بمصلحة الاسلام العليا. بالنسبة لحركة الائمة عليهم السلام وفعالياتهم من اجل الاسلام..

فقد شهدت مساحة واسعة من سيرة الائمة عليهم السلام حالة المعايشة

السلمية للاوضاع السياسية، مع بذل كل ممكن من اجل ارساء قواعد الاسلام، وقيمه في دنيا المسلمين، وقد آتت هذه السياسة ثمارها الجنية في حياة المسلمين لصالح الاسلام والدعوة الالهية في حدود الامكانات الواقعية المتاحة لائمة اهل البيت عليهم السلام الذين عايشوا تلك الظروف، وسلكوا ذلك الاسلوب من العمل للحق.

وكان الائمة الذين مارسوا ذلك اللون من السياسة وتمسكوا بذلك اللون من التحرك هم: الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام في عصر الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه في ادارة شؤون المسلمين، والامام الحسن بن علي عليه السلام في السنوات العشر الاخيرة من حياته، والامام الحسين بن علي عليه السلام منذ عام ٤١ حتى عام ٦٠ هـ «حيث فترة خلافة معاوية بن ابي سفيان» والامام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام منذ حوادث الطفوف حتى آخر حياته الشريفة..

وقد سلك نفس الاسلوب كل من الامام محمد بن علي الباقر عليه السلام والامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام والامام علي بن موسى الرضا عليه السلام ومن بعده حتى الامام علي بن محمد وولده الحسن العسكري عليهم جميعا آلاف التحية والسلام..

وسينصب بحثنا ـ ان شاء الله تعالى ـ على الاسلوب الثالث من اساليب محاور الهدى في امة محمد صلى الله عليه وآله الذين صانوا الرسالة،

وحفظوا الدعـوة الالهـية واوقـفوا الانـحراف عـند حـده، ونـتناول بالخصوص دور الصديقة الزهراء عليها السلام في مواجهة الانحراف والردة.

الزهراء في خط المواجهة

ما بين مطالع النبوة الخاتمة حتى اضطلاع الامام الحادي عشر من ائمة اهل بيت محمد صلى الله عليه وآله الحسن بن علي العسكري عليه السلام بـمسؤولية الامامة، تألقت في سماء الدعوة الالهية اسماء نخبة من نسـاء اهـل البيت عليهم السلام اضطلعن بدور رسالي تاريخي فـريد، وهـنّ: خـديجة ام المؤمنين عليها السلام وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وزينب بنت علي ابن ابي طالب عليها السلام عقيلة بـني هـاشم، وغـيرهن مـن عـقائل أهـل البيت عليهم السلام.

وقد قامت هؤلاء النسوة المطهرات من آل البيت عليهم السلام بادوار عظيمة لخدمة رسالة الله عز وجل لم تقدر حق قدرها حتى اليوم..

وكفى بهؤلاء المطهرات الزاكيات فـخراً ان تكـون خـديجة زوج النبي صلى الله عليه وآله الاولى، قد واكبت رسول الله صلى الله عليه وآله طوال غربته عن قومه، وشنهم العدوان تلو العدوان عليه حيث وقـفت فـي تـلك الظـروف القاهرة التي تصهر الجبال كالطود الاشم تسند النبي صلى الله عليه وآله الغريب في امته، وتمكنه بمالها، وصبرها وصمودها وثباتها على الحـق، حـتى انفقت كل وجودها وثروتها في سبيل الله عز وجـل، فكـانت احـد

اسباب انتصار رسول الله صلى الله عليه وآله، وعبوره تلك المحنة السوداء التي صبتها عليه وعلى دعوته: قريش بمكرها وخيلائها وكبريائها، وتنمرها على الحق..

وصدق رسول الله صلى الله عليه وآله حين يذكر خديجة عليها السلام فيذكرها بهذه الكلمات:

«حسبك من نساء العالمين اربع: مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم، امرأة فرعون، وخديجة بن خويلد، وفاطمة بنت محمد»[١].

قالت عائشة: استأذنت هالة بنت خويلد على رسول الله فعرف استئذان خديجة، فارتاح لذلك، فقال: اللهم! هالة بنت خويلد! قالت عائشة: فغرتُ، فقلت: وما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين، هلكت في الدهر، فابدلك الله خيراً منها!، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: **«لا والله، ما ابدلني الله خيراً منها. لقد آمنت بي حين كفر الناس، وصدقتني حين كذبني الناس وواستني حين حرمني الناس، ورزقني الله ولدها اذ حرمني اولاد النساء»**[٢].

---

(١) مناقب علي بن ابي طالب عليه السلام: ابو الحسن علي بن محمد ابن المغازلي الشافعي ص ٣٦٣ نقلا عن الترمذي في جامعه الصغير ٥:٣٦٧.

(٢) صحيح البخاري رقم ٣٨٢١ باب تزويج النبي صلى الله عليه وآله خديجة عليها السلام وصحيح ←

ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله عن خديجة عليها السلام : «اني قد رزقت حبها»[١] .

وكفى بهؤلاء النسوة الطاهرات فخراً ان بضعة المصطفى فاطمة الزهراء عليها الصلاة والسلام كانت القلعة الحصينة التي اوقفت زحف الردة بعد النبي صلى الله عليه وآله وحطمت آمال الانحراف، وصدت اخطر هجوم يواجه رسالة نبي بعد رحيله الى الرفيق الاعلى، حتى بقيت مظلومية فاطمة الزهراء عليها السلام حتى هذه الساعة غصة في صدور المؤمنين، تذكرهم بحجم المحنة، وسوء النوايا، وضخامة المؤامرة وكبر المأساة!

وكفى بالنسوة الزاكيات من آل البيت عليهم السلام فخراً ان تكون زينب بنت علي بن ابي طالب عليه السلام الصوت المدوي لثورة الحسين بن علي سبط النبي صلى الله عليه وآله ولسان الحق الذي صدع بأهداف النهضة الحسينية العظمى، دون خوف من ظالم او تراجع من ارهاب او نكوص عن اداء المسؤولية، مع سداد رأي وحكمة موقف، واستقامة على المنهاج حتى صدعت بالحق، وفضحت الظالمين، ونبهت الغافلين من موات الامة..

← مسلم باب فضائل خديجة وغيرهم ـ عرف استئذان خديجة: اي ذكر صوت خديجة لشبه صوتها بصوت هالة.

(١) صحيح البخاري رقم ٣٨١٨ باب تزويج خديجة، ومسلم باب فضائل خديجة وغيرهما.

وتبدو الصديقة الزهراء «عليها الصلاة والسلام» متألقة في حياة آل محمد ﷺ لا لجلالتها، وعظم شأنها وعلو مقامها فحسب، وانما في اهمية الدور الذي نهضت به في دنيا الناس بعد رسول الله ﷺ كذلك!!
هذا الدور الذي غطت عليه محنتها بعد النبي ﷺ فشغل بها الناس عن عظمة المسؤولية التي قامت بها اعظم قيام واجلّه.

فماذا بذلت الزهراء عليها السلام من جهد وماذا حققت؟

انتقل رسول الله صلى الله عليه وآله الى الملكوت الاعلى، فوقعت فتنة حندس بعد غيابه ـ لا يكاد جيل اليوم ان يصدق وقائعهاو يتبين معالمها بوضوح رؤية!!

وقد استعملت اساليب الشدة والقهر لفترة طويلة حتى تم للعهد الجديد ان يصفو له الجو السياسي والعسكري ابتداء من المعارضة داخل العاصمة الى الرافضين للحكم خارج المدينة[١].

وكانت اكبر العقبات في طريق الخلافة اهلُ بيت النبي صلى الله عليه وآله، وعلى رأسهم عميدهم علي بن ابي طالب عليه السلام.

وكأي حكم يأتي الى السلطة دون رضى الناس، استعملت الحكومة طريقة العنف والعسف، واستعانت بالاعراب الذين دخلوا

---

(١) كقضية الصحابي المظلوم مالك بن نويرة رضي الله عنه انظر مأساته في النص والاجتهاد: السيد شرف الدين ١٣٦ ـ ١٥٠ عن مصادره.

المدينة باسلحتهم، على طريقة الانقلاب العسكري، واعطيت لهم التوجيهات من قبل الصحابي عمر بن الخطاب ان اخرجوا الى الناس واحشروهم ليبايعوا، فمن امتنع فاضربوا رأسه وجبينه(١).

وهكذا اندفع اولئك الاعراب الغرباء عن المدينة المنورة وعن اهلها من الصحابة على حمل الناس بالقوة على البيعة «حتى خبطوا الناس خبطا» ـ كما تقول المصادر التي عكست شيئاً من الحقيقة عن طبيعة الاحداث والاّ فان اغلب المصادر الرسمية تذكر جملة او جملتين للخليفة عمر: انه سر بقدوم تلك الجماعة، وشعر بالظفر ـ كما يذكر الطبري وغيره(٢).

فلما استتب الامر في مستواه الاول، بقي امام الحكومة ان تخضع اهل البيت عليهم السلام الذين كانوا حتى انتهاء البيعة الخاصة ـ في السقيفة ـ للخليفة ابي بكر ثم انتهاء البيعة العامة له في المسجد، مشغولين بتجهيز النبي صلى الله عليه وآله ثم دفنه بعد البيعة للخليفة بيوم واحد!

وبعد الفراغ من دفن رسول الله صلى الله عليه وآله، عقد اهل البيت عليهم السلام وانصارهم اجتماعا في دار علي وفاطمة عليهما السلام ـ اشرنا له فيما مضى ـ وكان ذلك الاجتماع قد عقد من اجل التداول في الموقف المطلوب

---

(١) انظر ابن ابي الحديد مصدر سابق: ١:٢١٩، والمفيد مصدر سابق ١١٩.
(٢) تاريخ الطبري ٢ـ٤٥٩.

من هذا التطور، الذي سادته الروح القبلية ومفاهيمها.

بيد ان الاجتماع سرعان ما كشفته عيون السلطة التي كانت حذرة، متوجسة بالطبع، تراقب تحركات اهل البيت عليهم السلام بحساسية شديدة، فأرسلت سرية مسلحة من شرطتها للسيطرة على الموقف، فطوقت تلك السرية بيت الرسالة، وتعاملت بدرجة شديدة من العنف والارهاب لاخضاع اهل البيت عليهم السلام حسب الاوامر التي صدرت اليهم من الخليفة ابي بكر..

فقد روى المؤرخون ان ابابكر «بعث عمر بن الخطاب الى علي عليه السلام حين قعد عن بيعته، وقال: ائتني به بأعنف العنف..»[١].

ومن الطبيعي ان اغلب المصادر التي يملكها المسلمون اليوم تتناول تلك الاحداث بطريقة موجزة جداً، اما خوفاً من السلطات التي عاصرت كتابة الاحداث ـ وعموم تلك السلطات كانت مسايرة لخط السقيفة ـ او رعاية للاجواء الثقافية والاجتماعية للامة.

ثم ان ذكر الاحداث بشكلها المروع يسيء قطعاً لسمعة الخلفاء وخطهم السياسي والفكري، مما يقتضي من الحريصين عليهم ان ينقلوا الوقائع بطريقة لا تضر بسمعتهم قدر المستطاع او ان تكون

---

(١) البلاذري: انساب الاشراف ١:٥٨٧ ورواه السيد العسكري في خلاصة معالم المدرستين: ٩٨.

الرواية تتحمل التفسير والتوجيه بشكل او آخر..

وهكذا.. فعلى طريقة الانقلابيين الذين يخشون اي معارضة لحكمهم، وهو في بداية امره تصرفت السرية المهاجمة لبيت النبوة..

فقد جاء عمر بن الخطاب بقبس من نار على ان يضرم النار بدار فاطمة، ليحرقها بمن فيها.. وكانت الانظار مشدودة الى ذلك البيت المحاط بالمهاجمين.

الهي ماذا سيكون! هل سيحترق البيت وفيه وديعة محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وآله، وموضع سره، وخير ما خلفه في امته؟

الهي ماذا سيكون موقف علي بن ابي طالب، وهو الفارس الذي لوى بحسامه احداث التاريخ لصالح الاسلام واتباعه؟ وبينما تتداعى الاسئلة في ضمائر الحاضرين[١] الذين تراكموا في الطرق المحيطة بدار الرسالة وهم كالقطيع الذي لا يملك ارادة، ولا يدفع ظلما!! واذا بالوجه النبوي الحزين: وجه فاطمة وديعة محمد صلى الله عليه وآله يطل من الدار، وهي تطلق هذه الكلمات الخالدة مع الزمان: **يا ابن الخطاب اتراك محرقاً علي بابي؟!**

قال: نعم[٢]

(١) اثناء الهجوم امتلأت شوارع المدينة بالرجال / شرح النهج ٢:١٩.
(٢) انساب الاشراف ١:٥٨٦.

يا ابن الخطاب اجئت لتحرق دارنا؟

قال: نعم، او تدخلوا فيما دخلت فيه الامة!![١]

اما الحاضرون من عموم الناس حين رأوا جدية الموقف وما رأوا من تصميم الصحابي عمر واصحابه على حرق الدار صاحوا: ان في الدار فاطمة، فقال عمر: وان[٢]..

وخروج فاطمة الزهراء عليها السلام لمواجهة المهاجمين كان ينبىء عن امرين معاً:

اولاً: ان وقوفها بكل ما تملك من وجاهة ومكانة عظمى على الباب ارادت به ان تذكرهم برسول الله صلى الله عليه وآله وبحرمة هذه الدار على الله، وعلى رسوله، فعساهم يكفوا، ويصرفوا شرهم، عن علي عليه السلام ومن معه.

وقد ذكر ابن قتيبة الدينوري[٣]: ان الهجوم على الدار تكرر مرتين: مرة بقيادة قنفذ احد الطلقاء، ومرة بقيادة الخليفة عمر بن الخطاب.

---

(١) ابو الفداء ١:١٥٦ وابن عبد ربه ٣ـ٦٤.

(٢) البلاذري ١ـ٥٨٦، الخميس ١ـ١٧٨، الرياض النضرة ١:١٩٧ وكنز العمال ٣ـ١٤٠ وغيرهم.

(٣) الامامة والسياسة ١: ١٩ ـ ٢٠.

وثانيا: ان مواجهة الزهراء عليها السلام للموقف يحمل دلالة جلية ان علياً عليه السلام قد عزم على عدم مواجهة الحكومة عسكرياً اذ كيف يصول بيد جذاء، وقد خذلته الامة بعد النبي صلى الله عليه وآله كما خذلت امة موسى عند غيابه وصيه هارون عليهما الصلاة والسلام. يقول علي عليه السلام مستذكراً تلك الايام الرهيبة:

«اما والله لقد تقمّصها فلان[1] وانه ليعلم انّ محلّي منها محلّ القطب من الرحى، ينحدر عنّي السيل[2] ولا يرقى اليّ الطير، فسدلت دونها ثوباً[3] وطويت عنها كشحاً وطفقت ارتأي بين ان اصول بيد جذّاء[4] او اصبر على طخية

---

(١) الضمير يرجع الى الخلافة وفلان كناية عن الخليفة الاول ابي بكر، وقد نقلنا النص وشرحه من نهج البلاغة: شرح الشيخ محمد عبده ٣٤ ـ ٤٠.

(٢) تمثيل لسمو قدره كرم الله وجهه وقربه من مهبط الوحي وان ما يصل الى غيره من فيض الفضل فانما يتدفق من حوضه ثم ينحدر عن مقامه العالي فيصيب منه من شاء الله وعلى ذلك قوله ولا يرقى الخ غير ان الثانية ابلغ من الاولى في الدلالة على الرفعة.

(٣) فسدلت الخ كناية عن غض نظره عنها وسدل الثوب ارخاه وطوى عنها كشحا مال عنها وهو مثل لان من جاع فقد طوى كشحه ومن شبع فقد ملأه فهو قد جاع عن الخلافة اي لم يلتقمها.

(٤) وطفقت الخ بيان لعلة الاغضاء والجذاء بالجيم والذال المعجمة والدال ←

عمياء[١] يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربّه[٢] فرأيت ان الصبر على هاتا احجى[٣] فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجا[٤] ارى تراثي نهبا حتى مضى الاول لسبيله فأدلى بها الى فلان بعده[٥] (ثم تمثل بقول الاعشى):

شتان ما يومي على كورهاويوم حيّان اخي جابر[٦].

← المهملة وبالحاء المهملة من الذال المعجمة بمعنى المقطوعة ويقولون رحم جذاء اي لم توصل وسن جذاء اي متهتمة والمراد هنا ليس ما يؤيدها كأنه قال تفكرت في الامر فوجدت الصبر اولى فسدلت دونها ثوبا وطويت عنها كشحا.

(١) طخية بطاء فحاء بعدها ياء ويثلث اولها اي ظلمة ونسبة العمى فيها مجاز عقلي وانما يعمى القائمون فيها اذ لا يهتدون الى الحق وهو تأكيد لظلام الحال واسودادها.

(٢) يكدح يسعى سعي المجهود.

(٣) احجى الزم من حجى به كرضى او لع به ولزمه ومنه هو حجى بكذا اي جدير وما احجاه واحج به أي اخلق به واصله من لاحجا بمعنى العقل فهل احجى أي اقرب الى العقل وهاتا بمعنى هذه اي رأى الصبر على هذه الحالة التي وصفها اولى بالعقل من الصولة بلا نصير.

(٤) الشجا ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه والتراث والميراث

(٥) ادلى به القى بها اليه.

(٦) الكور بالضم الرحل او هو مع اداته والضمير راجع الى الناقة المذكورة الابيات قبل في قوله:

←

فيا عجبا بينا هو يستقيلها في حياته[١] اذ عقدها لآخر بعد وفاته. لشدّ ما تشطّرا ضرعيها[٢] فصيّرها في حوزة خشناء يغلظ

← وقد اسلى الهم اذ يعترى بجسرة دوسرة عاقر

والجسر العظيم من الابل والدوسرة الناقة الضخمة وحيان كان سيدا في بني حنيفة مطاعا فيهم وكان ذا حظوة عن ملوك فارس وله نعمة واسعة ورفاهية وافرة وكان الاعشى ينادمه والاعشى هذا هو الاعشى الكبير اعشى قيس وهو ابو بصير ميمون بن قيس بن جندل واول القصيدة:

علقم ما انت الى عامر الناقض الاوتار والواتر

وجابر اخو حيان اصغر منه ومعنى البيت ان فرقا بعيدا بين يومه في سفره وهو على كور ناقته وبين يوم حيان في رفاهيته فان الاول كثير العناء شديد الشقاء والثاني وافر النعيم وافي الراحة ويتلو هذا البيت ابيات منها:

في مجدل شيد بنيانه يزل عنه ظفر الطائر

مايجعل الجدالظنون الذي جنب صوب اللجب الماطر

مثلى الفراتي اذا طما يقذف بالبوصى والماهر

(المجدل كمنبر القصر والجد بضم اوله البئر القليلة الماء والظنون البئر لا يدرى افيه ماء اما لا واللجب المراد منه السحاب لاضطرابه وتحركه والفراتي الفرات. وزيادة الياء للمبالغة والبوصى ضرب من السفن معرب بوزى والماهر السابح المجيد) ووجه تمثل الامام بالبيت ظاهر بادنى تأمل.

(١) رووا ان ابا بكر قال بعد البيعة اقيلوني فلست بخيركم وانكر الجمهور هذه الرواية عنه والمعروف عنه وليتكم ولست بخيركم.

(٢) لشد ما تشطر ضرعيها جملة شبه قسمية اعترضت بين المتعاطفين فالفاء في قصيرها عطف على عقدها وتشطر مسند الى ضمير التثنية وضرعيها ←

كلامها[١] ويخشن مسّها. ويكثر العثار فيها. والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة[٢] ان اشنق لها خرم، وان اسلس لها تقحّم فمنى الناس لعمر الله بخبط وشماس[٣] وتلوّن واعتراض فصبرت على طول المدة وشدّة المحنة، حتى اذا مضى لسبيله، جعلها في جماعة

← تثنية ضرع وهو للحيوانات مثل الثدي للمرأة قالوا ان للناقة في ضرعها شطرين كل خلفين شطر ويقال شطر بناقته تشطيرا صر خلفيها وترك خلفين والشطر ايضا ان تحلب شطرا وتترك شطرا فتشطرا اي اخذ كل منهما شطرا وسمى شطري الضرع ضرعين مجازا وهو ههنا من ابلغ انواعه حيث ان من ولى الخلافة لا ينال الامر الا تاما ولا يجوز ان يترك منه لغيره سهما فاطلق على تناول الامر واحدا بعد واحد اسم التشطر والاقتسام كان احدهما ترك منه شيئا للآخر واطلق على كل شطر اسم الضرع نظرا لحقيقة ما نال ؟

(١) الكلام بالضم الارض الغليظة وفي نسخة كلمها وانما هو بمعنى الجرح كانه يقول خشونتها تجرح جرحا غليظا.

(٢) الصعبة من الابل ما ليست بذلول واشنق البعير وشنقه كفه بزمامه حتى الصق ذفراه (العظم الناتىء خلف الاذن) بقادمة الرحل او رفع رأسه وهو راكبه واللام هنا زائدة للتحلية ولتشاكل اساس واسلس ارخى وتقحم رمى بنفسه في القحمة اي الهلكة وراكب الصعبة اما ان يشنقها فيخرم انفها واما ان يسلس لها فترمي به في مهواة تكون فيها هلكته.

(٣) منى الناس ابتلوا واصيبوا والشماس بالكسر اباء ظهر الفرس عن الركوب والنفار والخبط السير على غير جادة والتلون التبدل والاعتراض السير على غير خط مستقيم كانه يسير عرضا في حال سيره طولا يقال بعير عرضى يعترض في سيره لانه لم يتم رياضته وفي فلان عرضية اي عجرفة وصعوبة.

زعم انّي احدهم فيا لله وللشورى متى اعترض الريب فيّ مع الاول منهم حتى صرت اقرن الى هذه النظائر[١] لكنّي اسففتُ اذ اسفوا[٢] وطرت اذ طاروا، فصغى رجل منهم لضغنه[٣] ومال الآخر لصهره[٤] مع هن وهن[٥] الى ان قام ثالث القوم نافجا حضنيه[٦] بين نثيله ومعتلفه»[٧].

(١) المشابه بعضهم بعضا دونه.

(٢) اسف الطائر دنا من الارض يريدانه لم يخالفهم في شيء.

(٣) صغى صغى وصغوا وصغا صغواً مال والضغن الضغينة يشير الى سعد بن ابي وقاص.

(٤) يشير الى عبدالرحمن بن عوف.

(٥) يشير الى اغراض اخر يكره ذكرها.

(٦) يشير الى عثمان.

(٧) اعتمدنا نهج البلاغة شرح الشيخ محمد عبده ص٣٤ ـ ٤٠، والنثيل: الروث والمعتلف: موضع العلف.

وتلاحقت الاحداث

ولم يكترث قائد السرية المهاجمة لكلمات بـنت النـبي ﷺ ولا لتوسلها ان لا يرتكبوا حماقة بحق بيت النبوة[1] ومن فيه، فما هي الا دقائق حتى اقتحمت الدار وكان اول الداخلين اليها الصحابي القريشي عمر بن الخطاب ثم تبعه الآخرون وكان اول من واجههم ببسالة الزبير ابن العوام الذي كان مع امير المؤمنين عليه السلام في الدار، الا انه عثر، فألقي عليه القبض، وكسر سيفه على صخرة هناك[2] ثم اقـتيد الى البـيعة مرغماً ومن كان في الدار.

ولم يذكر المؤرخون ان مناوشات قد جرت بين المهاجمين مـن انصار الحكومة، وانصار اهل بيت النبوة عليهم السلام، ولم تسجل الا حادثة الزبير وحدها.

---

(١) شرح النهج لابن ابي الحديد: ٦:٤٧ انظر توسلها بالمهاجمين.

(٢) الطبري ٢:٤٤٣ والخميس ١:١٨٨ وكنز العمال ٣:١٢٨.

ويعود السبب الى ان امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام قد تجنب المواجهة العسكرية بسبب قلة انصاره ورجاحة كفة السلطة اولاً اضافة الى حرصه على مصلحة الاسلام والامة ما استطاع الى ذلك سبيلا ـ كما اشرنا الى ذلك من قبل.

اما الحكومة فكانت مصرة على استعمال القوة منذ البداية، وتصفية المعارضين لخطها مهما كلف الثمن كما تفيد اوامر الخليفة الموجهة الى الذين كلفوا بمهمة مهاجمة دار الصديقة فاطمة عليها السلام التي جاء فيها: ان ابوا فقاتلهم[1]، وهناك روايات كثيرة في هذا المعنى.

ومن ملاحظة مسيرة الاحداث بعد الهجوم على الدار ان جميع من كان في دار بيت الرسالة قد اخذوا عنوة الى البيعة «يساقون سوقاً عنيفا»[2] فبايعوا مرغمين الا علي بن ابي طالب وبني هاشم[3]، فانهم لم يبايعوا.

ورغم ان المصادر التاريخية تتقيد بالايجاز في طرح هذه المسألة وعرضها لمصالح سياسية حزبية الا ان ما ابقته يد التعتيم على الحقائق من معلومات وحقائق مبتورة ظل يشهد بعمق المأساة التي

---

(١) ابن عبد ربه الاندلسي ٣: ٦٤، وابو الفداء ١: ١٥٦.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ٦:٤٨.

(٣) الطبري ٢:٤٤٨. وصحيح البخاري ٣:٣٨ باب غزوة خيبر وغيرهما.

مرت بآل النبي ﷺ وامة محمد ﷺ من بعده.

فقد جاء على لسان ابن قتيبة الدينوري (ت عام ٢٧٦ هـ) ما يلي:

«ثم ان علياً كرم الله وجهه اتي به الى ابي بكر وهو يقول: انا عبدالله واخو رسوله، فقيل له بايع ابا بكر، فقال: انا احق بهذا الامر منكم، لا ابايعكم وانتم اولى بالبيعة لي، اخذتم هذا الامر من الانصار، واحتججتم عليهم بالقرابة من النبي ﷺ وتأخذونه منا اهل البيت غصباً؟ ألستم زعمتم للانصار انكم أولى بهذا الامر منهم لمّا كان محمد منكم فأعطوكم المقادة وسلموا اليكم الامارة، وانا احتجُ عليكم بمثل ما احتججتم به على الانصار نحن اولى برسول الله حياً وميتاً فأنصفونا ان كنتم تؤمنون والاّ فبوءوا بالظلم وانتم تعلمون. فقال له عمر: انك لست متروكاً حتى تبايع، فقال له علي: احلب حلباً لك شطره[1] واشدد له اليوم امره يردده عليك غدا، ثم قال: والله يا عمر لا اقبل قولك ولا ابايعه، فقال له ابو بكر فإنْ لم تبايع فلا أكرهك، فقال ابو عبيدة بن الجراح لعلي كرم الله وجهه: يا ابن عم انك حديث السن وهؤلاء مشيخة قومك، ليس لك مثل تجربتهم، ومعرفتهم بالامور، ولا ارى ان ابا بكر الاّ اقوى على هذا الامر منك، واشد احتمالاً واضطلاعاً به فسلم لابي بكر هذا الامر، فانك ان تعش ويطل

(١) اي افعل فعلا يكون لك منه نصيب فأنت تبايعه اليوم ليرده عليك غدا.

بك بقاء فانت لهذا الامر خليق وبه حقيق في فضلك ودينك، وعلمك وفهمك، وسابقتك ونسبك وصهرك. فقال علي كرم الله وجهه: الله الله يا معشر المهاجرين لا تخرجوا سلطان محمد في العرب عن داره وقعر بيته. الى دوركم وقعور بيوتكم ولا تدفعوا اهله عن مقامه في الناس وحقه. فوالله يا معشر المهاجرين لنحن احقّ الناس به. لانا اهل البيت ونحن احق بهذا الامر منكم ما كان فينا القارىء لكتاب الله، الفقيه في دين الله العالم بسنن رسول الله المضطلع بأمر الرعية، المدافع عنهم الامور السيئة القاسم بينهم بالسوية والله انه لفينا فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحق بعداً. فقال بشير ابن سعد الانصاري: لو كان هذا الكلام سمعته الانصار منك قبل بيعتها لابي بكر، ما اختلف عليك اثنان. قال: وخرج علي كرم الله وجهه يحمل فاطمة بنت رسول الله ﷺ على دابة ليلاً في مجالس الانصار تسألهم النصرة، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ولو ان زوجك وابن عمك سبق الينا قبل ابي بكر ما عدلنا به، فيقول علي كرم الله وجهه، افكنت ادع رسول الله ﷺ في بيته لم ادفنه، واخرج انازع الناس سلطانه؟ فقالت فاطمة: ما صنع ابو الحسن الا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم»(١).

---

(١) الامام والسياسة: ١:١٨ ـ ١٩.

ويتحدث الدينوري نفسه عن مشهد آخر من المحنة، وفصل من المقاومة والصمود، فيقول: وان ابا بكر رضي الله عنه تفقد قوما تخلفوا عن بيعته عند علي كرم الله وجهه فبعث اليهم عمر فجاء فناداهم وهم في دار علي فأبوا ان يخرجوا فدعا بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجن او لاحرقنَّها على من فيها،فقيل له:يا ابا حفص ان فيها فاطمة؟ فقال: وان، فخرجوا فبايعوا الّا علياً فانه زعم انه قال: حلفت ان لا اخرج ولا اضع ثوبي على عاتقي حتى اجمع القرآن، فوقفت فاطمة «رضي الله عنها» على بابها، فقالت: لا عهد لي بقوم حضروا اسوأ محضر منكم، تركتم رسول الله صلى الله عليه وآله جنازة بين ايدينا وقطعتم امركم بينكم، لم تستأمرونا، ولم تردوا لنا حقاً. فأتى عمر ابا بكر، فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة؟ فقال ابو بكر لقنفذ وهو مولى له: اذهب فادع لي علياً، قال فذهب الى علي فقال له: ما حاجتك؟ فقال يدعوك خليفة رسول الله، فقال علي: لسريع ما كذبتم على رسول الله. فرجع فأبلغ الرسالة، قال فبكى طويلاً فقال عمر الثانية: لا تمهل هذا المتخلف عنك بالبيعة، فقال ابو بكر رضي الله عنه لقنفذ: عد اليه، فقل له: خليفة رسول الله يدعوك لتبايع، فجاءه قنفذ، فأدى ما امر به، فرفع علي صوته فقال سبحان الله؟ لقد ادعى ما ليس له، فرجع قنفذ، فأبلغ الرسالة، فبكى ابو بكر طويلا، ثم قام عمر فمشى

معه جماعة، حتى اتوا باب فاطمة، فدقوا الباب، فلما سمعت اصواتهم نادت بأعلى صوتها: يا ابتِ يا رسول الله ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن ابي قحافة، فلما سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين وكادت قلوبهم تتصدع واكبادهم تتفطر وبقى عمر ومعه قوم فأخرجوا علياً فمضوا به الى ابي بكر فقالوا له: بايع، فقال: ان لم افعل فمه؟ قالوا: اذاً والله الذي لا اله الا هو نضرب عنقك، فقال: اذن تقتلون عبدالله واخا رسوله، قال عمر: اما عبدالله فنعم، واما اخو رسوله فلا، وأبو بكر ساكت لا يتكلم، فقال له عمر: ألا تأمر فيه بأمرك؟ فقال: لا اكرهه على شيء ما كانت فاطمة الى جنبه، فلحق علي بقبر رسول الله ﷺ يصيح ويبكي وينادي: يا ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني[١].

وهنا يبرز دور الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام بوضوح وقوة رغم التعتيم الظالم للمصادر الرسمية على ذلك، فقد ذكرت تلك المصادر ما يلي:

فإنّ الصديقة الطاهرة حين اقتحم المهاجمون دارها «خرجت تبكي وتصيح، فنهنهت من الناس»[٢]، وكان خروجها الى

---

(١) نفس المصدر ١:١٩ ـ ٢٠ .وانظر تفصيل ذلك لدى تفسير العياشي ٢:٦٦ ـ ٦٨ .
(٢) ابن ابي الحديد ١:١٣٤ عن ابي بكر الجوهري .

الباب طبعا.

ثم انها هددت تلك الجماعة ببسالة ورباطة جأش «والله لتخرجن ـ من الدار ـ او لأكشفن شعري، ولاعجن الى الله، فخرجوا..»[١].

وقد ذكر الدينوري: ان الصديقة الزهراء عليها السلام: «نادت بأعلى صوتها: يا ابتِ يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب، وابن ابي قحافة، فلما سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين..» وبقي عمر ومعه قوم فأخرجوا علياً فمضوا به الى ابي بكر..»[٢].

وبعين باكية وصدر يمتلىء لوعة واسى ترافق الزهراء عليها السلام علياً الى حيث يجلس الخليفة ابو بكر.

فلما رأى الخليفة الصديقة الزهراء عليها السلام الى جنب علي عليه السلام وهي تخاطبه: «يا ابا بكر ما اسرع ما أغرتم على اهل بيت رسول الله!»[٣].

على ان الشيخ المفيد رضي الله عنه ـ باسناده ـ يذكر ان فاطمة عليها السلام قالت: «لا عهد لي بقوم اسوأ محضراً منكم، تركتم رسول الله جنازة بين

---

(١) تاريخ اليعوبي ٢:١٢٦.

(٢) الامامة والسياسة: ١٣:١. وذكر ذلك مفصلا السيد شرف الدين: النص والاجتهاد: ٨٢ ونقل عدة احاديث حول ذلك نقلا عن ابن ابي الحديد المعتزلي في نفس الصفحة.

(٣) ابن ابي الحديد ٦ـ٤٩.

ايدينا، وقطعتم امركم بينكم، لم تستأمرونا، وصنعتم بنا ما صنعتم ولم تروا لنا حقا»(١).

اقول: حين سمع الخليفة هذه الكلمات التي تقطر حقاً ومظلومية تراجع عن اصراره على حمل امير المؤمنين عليه السلام على بيعته رغم اصرار عمر بن الخطاب على حمل علي عليه السلام على البيعة ـ كما نص ابن قتيبة على ذلك ـ.

لقد افشلت الزهراء عليها السلام مهمة المهاجمين على دارها رغم كل التهديدات والمواقف المتزمتة التي ابدتها الحكومة وقوتها المهاجمة. حتى ان رأس الحكومة بعد النبي صلى الله عليه وآله قد اعترف بخطأ موقفه من آل البيت عليهم السلام قبل وفاته.

يقول ابو بكر في حديث له مع الصحابي عبدالرحمن بن عوف جاء فيه: «وددت اني لم اكشف بيت فاطمة عن شيء وان كانوا قد غلّقوه على الحرب»(٢).

ومما تجدر الاشارة اليه ان تلك الاجواء المتوترة جداً تعطي

---

(١) امالي الشيخ المفيد: المجلس السادس: ٥٠ لم تستأمرونا: لم تشاورونا في الامر. ومثله في الامامة والسياسية ١:١٩.

(٢) تاريخ الطبري ٢:٦١٩، وذكر ذلك المسعودي في مروج الذهب ٢:٣٠١ وابن ابي الحديد ٦-٥١، والدينوري ١:٤٢ مع اختلاف يسير في بعض الالفاظ.

انطباعاً واضحاً ان اي تجاوز على اهل البيت عليهم السلام كان ممكنا، ولماذا لا تتجاوز الحكومة على اهل بيت النبي صلى الله عليه وآله بالطريقة التي تريد وقد صفا لها الجو السياسي والعسكري، ولم يعد هناك من معارض، ولم يبق الا هذا البيت ينغص عليها هذا السرور والبهجة الدنيوية..[١].

ومن هنا فليس من العقل بمكان ان يستبعد احد ما تذكره اكثر المصادر من تعرض الصديقة الزهراء عليها السلام الى الاهانة والضرب ـ ربما مرارا ـ من قبل الفريق الذي هاجم دارها، فأن الهوس والانفعال الذي كان عليه القوم لا يعطي فرصة للتفكير المتعقل الهادىء الذي يهتم بالعواقب.

وهنا نذكر هذه النشرة الخبرية المأساوية بايجاز:

ـ يقول النظّام ابراهيم بن سيار بن هانيء وهو من رؤوس المعتزلة (ت عام ٢٣١ هـ) ما يلي: «عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتى القت الجنين من بطنها»[٢].

ويقول الامام ابراهيم بن محمد الجويني الشافعي باسناده الى

---

(١) لاحظ زفاف الخليفة الى المسجد بعد بيعة السقيفة في تاريخ الخميس ١:١٨٨، والرياض النضرة ١:١٦٤، والموفقيات للزبير بن بكار ص٥٧٨.

(٢) الملل والنحل: الامام محمد بن عبدالكريم بن احمد الشهرستاني الشافعي (ت ٥٤٨ هـ) ١:٥٧، وترجمة النظام تجدها في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٦:٩٧.

ابن عباس ﷺ: «وكسر جنبها، واسقطت جنينها، وهي تنادي: وامحمداه...»[١].

ـ ويقول شيخ الطائفة ابو جعفر الطوسي ﷺ ما يلي: «والمشهور الذي لا خلاف فيه بين الشيعة ان عمر ضرب على بطنها حتى اسقطت، فسمي السقط «محسناً» والرواية بذلك مشهورة عندهم»[٢].

وروى الشيخ المفيد ﷺ باسناده عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه الصلاة والسلام في حديث طويل جاء فيه:

«فلقيها عمر.. فرفسها برجله، وكانت حاملاً بابن اسمه المحسن، فاسقطت المحسن من بطنها، ثم لطمها، فكأني انظر الى قرط في اذنها حين نفقت..»[٣].

هذه بعض مصاديق العدوان الرسمي على الصديقة الزهراء عليها السلام بعد افتقاد رسول الله ﷺ وهنالك مجموعة معتبرة من المصادر التاريخية

---

(١) فرائد السمطين ٢:٣٦.

(٢) تلخيص الشافي ٣:١٥٦ تحقيق السيد حسين بحر العلوم.

(٣) الاختصاص: الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) ص ١٨٥ ط قم منشورات جماعة المدرسين في قم المقدسة. نفقت: كسرت. «وآسم المحسن ذكره كثيرون منهم من علماء المذاهب الأربعة: الخوارزمي الحنفي في مقتل الحسين عليه السلام ١: ٨٣ باسناده والمحب الطبري في ذخائر العقبىٰ: ٥٥ والقندوزي الحنفي في ينابيع المودة: ٢٠١ وغيرهم».

التي تتحدث عن ذلك الاعتداء بالضرب واللطم والرفس مثل روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه ٥:٣٤٥ للشيخ محمد تقي المجلسي، ومرآة العقول للشيخ محمد باقر المجلسي ٥:٣١٨، والشيخ عباس القمي في بيت الاحزان وسفينة البحار والشيخ المجلسي في البحار ٢٩:١٨٩ ـ ١٩٣، والامالي للشيخ الصدوق، ودلائل الامامة للطبري ص ٤٥ وتفسير العياشي ٢:٦٦ ـ ٦٨، وسليم ابن قيس العامري ٢٤٩ ـ ٢٥٣، والسيد المرتضى في الشافي ٤:١١٠، والديلمي في ارشاد القلوب برواية الزهراء عليها السلام نفسها والمسعودي في اثبات الوصية ص ٢٣ ـ ٢٤، وكامل الزيارات لابن قولويه ٣٣٢ ـ ٢٣٣ واقبال الاعمال للسيد ابن طاووس ص ٦٢٥.

هذا ومن الجدير ذكره اننا لا نملك فهرساً بحركة الاحداث ما بعد النبي صلى الله عليه وآله حتى يتبين لنا بدقة تواريخ الاحداث التي مرّ بها بيت النبوة، ولكن يبدو انها كانت متلاحقة جداً جرت بين ثمانية اشهر واربعين يوما على رواية ان الزهراء عليها السلام لحقت بأبيها صلى الله عليه وآله بعد تلك المدة او هذه...

ام ابيها تطلب النصرة

رغم ان جيوب المعارضة لحكومة ما بعد رسول الله ﷺ قد صفيت بشكل او بآخر، فسعد بن عبادة قد عزم على مقاطعة الحكم ولم يشارك القوم في جمعة ولا جماعة، ولا موقف ثم رحل الى بلاد الشام وهناك تمت تصفيته جسمياً واشيع ان الجن سددت له سهما وقتلته![١]

وابو سفيان نقض همته مبلغ مناسب! من المال وهبه له الخليفة باقتراح من مهندس سياسة عصر ما بعد النبي ﷺ الصحابي عمر بن الخطاب، وكان ذلك المال: «صدقات» قام ابو سفيان بجبايتها بأمر من رسول الله ﷺ من احدى النواحي، ثم اتيحت له فرصة ارحب حين قلد ولداه يزيد ثم معاوية مناصب قيادية في الشام، وهذه الفرصة هي التي وفرت كل الظروف لقيام دولة بني امية فيما بعد..

---

(١) ابن عبد ربه: ٤: ٢٥٩ ـ ٢٦٠ وغيره.

وقد رأينا كيف سيق الزبير الى البيعة مرغماً، كما وجيء عنق سلمان حتى بايع، وهكذا تم اسكات صوت المعارضة ولم يبق الا صوت أهل بيت النبوة عليهم السلام الذي ظل يقاوم التجاوز على الشرعية، ويعمل وسعه لتحريك موات الامة، وفتح قلوب المسلمين على حقيقة الاحداث التي جرت بعد النبي صلى الله عليه وآله وتسجيل موقف الرفض لتلك العملية المضادة لمشروع رسول الله صلى الله عليه وآله..

وكمحاولة لاضعاف موقف اهل البيت عليهم السلام تحركت الحكومة من جانبها لتمزيق بني هاشم، لاضعاف مركزهم في استيعاب الامة، والاخلال بموقع علي والزهراء عليهما السلام على وجه الخصوص، فاجتمع ابو بكر وعمر وابو عبيدة بن الجراح والمغيرة بن شعبة، وتداولوا في ضرورة العمل ما امكن على اضعاف موقع علي عليه السلام.

فاقترح عليهم «المغيرة» ان يجتمعوا بالعباس بن عبدالمطلب «فنجعل له في هذا الامر نصيبا يكون له ولعقبه من بعده، فتقطعون به ناحية علي بن ابي طالب[1]، «فانطلق ابو بكر وعمر، وابو عبيدة بن الجراح، والمغيرة، حتى دخلوا على العباس ليلا[2]، فحمد الله ابو

---

(١) اليعقوبي ٢: ١٢٤ ـ ١٢٥، وابن ابي الحديد ٢ ـ ١٣ والامامة والسياسة بلفظ قريب ١ ـ ٢١ وغيرهم.

(٢) في رواية ابن ابي الحديد ان ذلك كان في الليلة الثانية بعد وفاة النبي.

بكر واثنى عليه ثمّ قال:

«ان الله بعث محمداً نبياً وللمؤمنين ولياً، فمنّ عليهم بكونه بين اظهرهم حتى اختار له ما عنده، فخلّى على الناس امورهم[١] ليختاروا لانفسهم في مصلحتهم مشفقين[٢]. فاختاروني عليهم والياً ولامورهم راعيا. فوليت ذلك وما اخاف بعون الله وتسديده وهناً، ولا حيرة، ولا جبنا، وما توفيقي الا بالله عليه توكّلت واليه انيب. وما انفكّ يبلغني عن طاعن بقول الخلاف على عامة المسلمين يتّخذكم لجأً، فتكونوا حصنه المنيع، وخطبه البديع، فإما دخلتم مع الناس فيما اجتمعوا عليه، واما صرفتموهم عما مالوا اليه. ولقد جئناك ونحن نريد ان نجعل لك في هذا الامر نصيباً يكون لك ويكون لمن بعدك من عقبك، اذ كنت عمّ رسول الله، وان كان الناس قد رأوا مكانك ومكان صاحبك (فعدلوا الامر عنكم) على رسلكم بني هاشم فانّ رسول الله منّا ومنكم.

فقال عمر بن الخطاب: واُخرى انّا لم نأتكم لحاجة اليكم، ولكن كُرهاً ان يكون الطعن في ما اجتمع عليه المسلمون منكم فيتفاقم

---

(١) ان ضمير (هم) موجود في رواية ابن ابي الحديد.

(٢) في نسخة الامامة والسياسة وابن ابي الحديد ١: ٧٤: (متفقين) وهو الاشبه بالصواب.

الخطب بكم وبهم، فانظروا لانفسكم!

فحمد العباس الله وأثنى عليه وقال: ان الله بعث محمّداً كما وصفت نبياً، وللمؤمنين ولياً، فمنّ على امّته به، حتّى قبضه الله اليه واختار له ما عنده، فخلى على المسلمين امورهم ليختاروا لانفسهم مصيبين الحق لا مائلين بزيغ الهوى، فان كنت برسول الله طلبت، فحقّنا اخذت، وان كنت بالمؤمنين اخذت فنحن منهم. فما تقدّمنا في امرك فرطاً، ولا حللنا وسطاً ولا برحنا سخطاً وان كان هذا الامر وجب لك بالمؤمنين فما وجب اذ كنّا كارهين ما ابعد قولك من انّهم طعنوا عليك من قولك انّهم اختاروك ومالوا اليك، وما ابعد تسميتك خليفة رسول الله من قولك خلّى على الناس امورهم ليختاروا فاختاروك. فأمّا ما قلت: انك تجعله لي، فان كان حقاً للمؤمنين فليس لك ان تحكم فيه، وان كان لنا فلم نرض ببعضه دون بعض وعلى رسلك، فانّ رسول الله من شجرة نحن اغصانها وانتم جيرانها» فخرجوا من عنده.

وهكذا سقط منهج القوة والارهاب كما فشل اسلوب المناورة، واغراء بعض اركان آل البيت عليهم السلام في الوقوف الى جانب السلطة، والوقوف على الحياد على الاقل..

وتحرك آل النبي صلى الله عليه وآله باتجاه طلب النصرة، فاذا توفرت شروطها ومستلزمات المواجهة، يتحول الموقف حينذاك من اسلوب الدفاع

الى المواجهة فماذا تحتاجه المرحلة الجديدة، وماذا يتطلب هذا التصميم الذي باشره علي والزهراء عليهما السلام معاً؟!

لقد تحركت خطوات العمل على الشكل التالي:

١ ـ جاء «جماعة الى علي بن ابي طالب يدعونه الى البيعة فقال لهم: اغدوا عليّ محلقي الرؤوس، فلم يغدوا عليه الاّ ثلاثة نفر»[١].

ان المسألة ليست مسألة تظاهر بالكلام ولقلقة اللسان والادعاء، وانما الموقف يتطلب مواجهة حاسمة، تستدعي بذل الدماء والنفوس، ومن يوطن نفسه على تحمل ذلك المستوى من التضحية، فليأت مستعداً للموت، وعلامة ذلك ان يأتي حليق الرأس وكانت عادة حلاقة الرأس من ظواهر التصميم على المقاومة المسلحة عند عرب ذلك الزمان.

هكذا امتحنهم امير المؤمنين عليه السلام فلما رأى اولئك جدية الموقف، وهنوا واستكانوا!!

٢ ـ ثم ان علياً والزهراء عليهما السلام بادرا الى مواجهة الناس، والقاء الحجة عليهم فرداً فرداً وبيتاً بيتاً..

«ثم ان علياً حمل فاطمة على حمار وسار بها ليلاً الى بيوت

---

(١) اليعقوبي ٢:١٦٢، وشرح النهج ٢:٤.

الانصار، يسألهم النصرة، وتسألهم فاطمة الانتصار له..»[١].

وهكذا يتحرك وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وابنته سيدة نساء العالمين وسبطا النبي صلى الله عليه وآله على صحابة الرسول يطلبون منهم النصرة فلا يجدون ناصرا.

فقد كان الوهن والخور تضيق بها كلمات الانصار: «يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو كان ابن عمك سبق الينا ابا بكر ما عدلنا به. فقال علي:

أفكنت اترك رسول الله ميتاً في بيته لم اجهزه واخرج الى الناس انازعهم سلطانه؟

فقالت فاطمة: ما صنع ابو الحسن الاّ ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم عليه»[٢].

ويبدو ان امير المؤمنين وبنت الرسول صلى الله عليه وآله كرروا تلك اللقاءات والحوارات والمطالبة فلم تحقق شيئاً ذا بال، حتى شاع امرها وانكشف.

فهذا معاوية بن ابي سفيان يؤاخذ على امير المؤمنين عليه الصلاة

---

(١) ابن قتيبة الدينوري ١:١٢، وشرح النهج ٥ـ٦:٢٨.

(٢) نفس المصدر والصفحات

والسلام هذا الموقف الباحث عن النصرة، فيكتب له كتاباً ايام خروجه على امام زمانه فيقول فيه معيراً ومشنعاً:

«واعهدك امس تحمل قعيدة بيتك ليلاً على حمار ويداك في يدي ابنيك الحسن والحسين يوم بويع ابو بكر الصديق، فلم تدع احدا من اهل بدر والسوابق الا دعوتهم الى نفسك، ومشيت بهم بامرأتك، وادللت اليهم بابنيك، واستنصرتهم على صاحب رسول الله، فلم يجبك منهم الا اربعة او خمسة، ولعمري لو كنت محقاً لاجابوك، ولكنك ادعيت باطلا، وقلت ما لا يعرف ورمت ما لا يدرك، ومهما نسيت، فلا انسى قولك لابي سفيان لما حركك، وهيّجك: لو وجدت اربعين ذوي عزم منهم لناهضت القوم»(١).

لقد كان من مهمات ذلك التحرك المظلوم ان يوفر مستلزمات النصرة، وان يلقي الحجة على التحالف القبلي الظالم الذي ترك وصايا النبي ﷺ وراءه ظهريا.

٣ ـ ومن الملاحظ ان خطبة الزهراء عليها السلام التي استمع اليها الناس في المسجد النبوي بعد مصادرة ارثها واموالها الشخصية من قبل الحكومة، ويئسها من تغيير السلطة، لموقفها ـ رغم كل المحاولات ـ كانت قد اشتملت على عدة نداءات فاطمية بضرورة النصرة

---

(١) صفين: نصر بن مزاحم: ١٨٢، وابن ابي الحديد ٢: ٦٧.

والمراجعة للمواقف الخاطئة من قبيل ما خاطبت به الانصار: «الا وقد ارى قد اخلدتم الى الخفض، وابعدتم من هو احق بالبسط والقبض وخلوتم بالدعة، ونجوتم بالضيق من السعة، فمججتم ما وعيتم، ودسعتم الذي تسوغتم، فان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا، فان الله لغني حميد ألا وقد قلت ما قلت هذا على معرفة مني بالجذلة التي خامرتكم والغدرة التي استشعرتها قلوبكم..»(١).

وحتى وقوف الصديقة الزهراء عليها السلام على قبر السيد الاكبر رسول الله صلى الله عليه وآله بعد نهاية الخطبة، والقاء هذه الابيات التي تفيض حسرة وألماً، ومظلومية مع ما صحبها من دموع ونشيج، انما كان من بعض وجوهه مطالبة بالنصرة، وحث على مراجعة المواقف الخائرة، وعودة الى الذات.

روى الشيخ المفيد(٢) باسناده الى زينب بنت علي بن ابي طالب عليه السلام قالت: «لما اجتمع رأي ابي بكر على منع فاطمة عليها السلام فدك والعوالي، وأيست من اجابته لها عدلت الى قبر ابيها رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) تراجع اواخر الخطبة المباركة. اخلدتم: ملتم. الخفض: السعة واللين. الدعة: الراحة. الدسع: القيء. تسوغ: شربه بسهولة. الجذلة: ترك النصر. خامرتكم: خالطتكم.

(٢) الامالي: ٤٠ ـ ٤١ المجلس الخامس.

فألقت نفسها عليه وشكت اليه ما فعله القوم بها وبكت حتى بلّت تربته عليه السلام بدموعها وندبته، ثمّ قالت في آخر ندبتها[١]:

قد كان بعدك انباء وهنبثة[٢]	لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب[٣]
إنّا فقدناك فقد الارض وابلها[٤]	واختلّ قومك فاشهدهم فقد نكبوا[٥]
قد كان جبريل بالآيات يؤنسنا	فغبت عنّا فكلّ الخير محتجب
فكنت بدراً ونوراً يستضاء به	عليك ينزل من ذي العزّة الكتب
تجهّمتنا رجال[٦] واستخفّ بنا	بعد النبي وكلّ الخير مغتصب
سيعلم المتولّي ظلم حامّتنا	يوم القيامة أنّى سوف ينقلب[٧]
فقد لقينا الذي لم يلقه احد	من البرية لا عجم ولا عرب

---

(١) في بعض النسخ «في آخر ندبه» من باب اضافة المصدر الى المفعول، اي ندبتها اياه.

(٢) الهنبثة: واحدة من الهنابث وهي الامور الشدايد المختلفة؛ والهنبثة: الاختلاط في القول، والنون زائدة.

(٣) الخطب ـ كزفر ـ بالفتح والسكون ـ وهو الامر الذي تقع فيه المخاطبة، والشأن والحال، والامر صغر او عظم وغلب استعماله للامر العظيم المكروه. وفي بعض النسخ «لم يكثر الخطب» على المفرد، وفي بعضها: لم يكبر.

(٤) الوابل: المطر الشديد.

(٥) النكب والنكوب: الاعراض والعدول. تريد (ع) الذين نكبوا عن الايمان ورجعوا عن الدين. وفي بعض نسخ الحديث «ولم تغب».

(٦) اي لقونا بالغلظة والوجه الكريه.

(٧) حامة الانسان: خاصته ومن يقرب منه. والكلام في موضع قوله تعالى: «وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون» سورة الشعراء: ٢٢٧.

فسوف نبكيك ما عشنا وما بقيت   لنا العيون بتهمال له سكب(١)

ومن ظواهر البحث عن النصرة، وفضح الظلم، والوهن والخذلان خطبة الصديقة الزهراء عليها السلام في جمع من نساء الانصار جئن لزيارتها، فألقت فيهن خطبة ستبقى غرة على جبين الزمان، لما تحتوي عليه من تحريك للمشاعر، وحث على فهم الواقع، واصرار على ابراز معالم الحق..

فقد روى سويد بن غفلة(٢) قال: لما مرضت فاطمة «سلام الله عليها» المرضة التي توفيت فيها(٣) دخلت عليها نساء المهاجرين والانصار يعدنها، فقلن لها: كيف اصبحت من علّتك يا ابنة رسول الله ؟

---

(١) هملت عينه: فاضت دموعا، والسكب: الهطلان والتقاطر الدائم والسقوط المتتابع.

(٢) قال العلامة في الخلاصة: سويد بن غفلة الجعفي قال البرقي: انه من اولياء امير المؤمنين عليه السلام وفي اسد الغابة «ادرك الجاهلية كبيراً واسلم في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يره وادى صدقته الى مصدق النبي صلى الله عليه وآله ثم قدم المدينة فوصل يوم دفن النبي صلى الله عليه وآله وكان مولده عام الفيل وسكن الكوفة..» وفي تهذيب التهذيب وثقه ابن معين والعجلي مات سنة ٨٠ وقيل ٨١ وقيل ٨٨.

(٣) قال ابن ابي الحديد في المجلد الرابع من شرحه على النهج «قال ابو بكر وحدثنا محمد بن زكريا قال حدثنا محمد بن عبدالرحمن المهلبي عن عبدالله بن حماد بن سليمان عن ابيه عن عبدالله بن حسن بن حسن عن امه فاطمة بنت الحسين عليه السلام قالت: لما اشتد بفاطمة بنت رسول الله «ص» الوجع وثقلت في علتها دخلت عليها.. الخ

فحمدت الله، وصلّت على ابيها، ثم قالت:

«اصبحت والله: عائفة لدنياكنّ قالية لرجالكنّ لفظتهم بعد ان عجمتهم[١] وسئمتهم بعد ان سبرتهم[٢] فقبحاً لفلول الحد، واللعب بعد الجد، وقرع الصفاه وصدع القناة، وختل الآراء[٣] وزلل الاهواء، وبئس ما قدّمت لهم انفسهم: ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون! لا جرم لقد قلّدتهم ربقتها وحمّلتهم اوقتها[٤] وشننت عليهم غاراتها[٥]، فجدعاً وعقراً وبعداً للقوم الظالمين.

ويحهم أنّى زعزعوها عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوة والدلالة، ومهبط الروح الامين، والطبين بأمور الدنيا[٦] والدين؟! ألا ذلك هو الخسران المبين! وما الذي نقموا من ابي الحسن؟! نقموا والله منه نكير سيفه، وقلّة مبالاته لحتفه، وشدة وطأته، ونكال[٧] وقعته، وتنمره في ذات الله[٨] وتالله لو مالوا عن المحجة اللايحة، وزالوا عن قبول الحجة

---

(١) لفظتهم: رميت بهم وطرحتهم بعد ان عجمتهم: اي بعد ان اختبرتهم وامتحنتهم.
(٢) سئمتهم: مللتهم، وسبرتهم: جرّبتهم واحدا واحدا.
(٣) ختل الآراء: زيفها وخداعها.
(٤) اوقتها: ثقلها.
(٥) شننت الغارة عليهم: وجهتها عليهم من كل جهة.
(٦) الطبين: الفطن الحاذق العالم بكل شيء.
(٧) النكال: ما نكلت به غيرك كائنا من كان.
(٨) تنمر: عبس وغضب.

الواضحة، لردهم اليها، وحملهم عليها ولسار بهم سيرا سجحا[١] لا يكلم حشاشه[٢] ولا يكل سائره[٣] ولا يمل راكبه، ولأوردهم منهلاً نميراً، صافياً، روياً، تطفح ضفتاه ولا يترنق جانباه ولأصدرهم بطانا، ونصح لهم سراً واعلاناً، ولم يكن يتحلّى من الدنيا بطائل، ولا يحظى منها بنائل، غير ري الناهل، وشبعة الكافل، ولبان لهم: الزاهد من الراغب والصادق من الكاذب، ولو أنّ اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض، ولكن كذّبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون، والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين!

ألا هلمّ فاسمع! وما عشت اراك الدهر عجبا! وان تعجب فعجب قولهم!! ليت شعري الى اي سناد استندوا؟! والى اي عماد اعتمدوا؟! وبأية عروة تمسّكوا؟! وعلى اية ذرية أقدموا واحتنكوا[٤] لبئس المولى ولبئس العشير، وبئس للظالمين بدلا! استبدلوا والله الذنابى بالقوادم[٥] والعجز

(١) سجحا: سهلا.
(٢) كلمه: جرحه.
(٣) يكل: يتعب.
(٤) احتنكه: استولى عليه.
(٥) الذنابى: ذنب الطائر، وقوادمه: مقادم ريشه.

بالكاهل[١] فرغماً لمعاطس[٢] قوم يحسبون أنّهم يـحسنون صـنعا، ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون. ويحهم أفمن يهدي الى الحق احق ان يتبع ام من لا يهدي الا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون؟! امّا لعمري لقد لقحت، فنظرة ريثما تنتج، ثم احتلبوا ملء القعب دماً عبيطا[٣] وذعافاً مبيداً، هنالك يـخسر المـبطلون، ويـعرف البـاطلون غب[٤] مـا اسس الاولون، ثم طيبوا عن دنياكم انفساً، واطمئنوا للفتنة جـاشاً، وأبشـروا بسيف صارم، وسـطوة مـعتد غـاشم، وبـهرج شـامل، واسـتبداد مـن الظالمين: يدع فيئكم زهيداً، وجمعكم حصيداً، فيا حسرتا لكم! وأنّى بكم وقد عميت عليكم انلزمكموها وأنتم لها كارهون!».

قال سويد بن غفلة: فأعادت النساء قولها عليها السلام على رجالهنّ فجاء اليها قوم من المهاجرين والانصار معتذرين، وقالوا: يا سيدة النساء، لو كان ابو الحسن ذكر لنا هذا الامر قبل ان يبرم العهد، ويحكم، لما عدلنا عنه الى غيره.

فقالت عليها السلام: إليكم عنّي فلا عذر بعد تعذيركم، ولا أمر بعد تقصيركم[٥].

---

(١) العجز: مؤخر الشيء، والكاهل: مقدم اعلى الظهر مما يلي العنق.
(٢) المعطس: الأنف.
(٣) القعب: القدح، والدم العبيط: الخالص الطري.
(٤) الذعاف: السم الذي يقتل من ساعته، الغب: العاقبة.
(٥) الاحتجاج للطبرسي: ١٠٨ ـ ١٠٩ وعوالم العلوم مجلد ١١: ٤٥٨ ـ ٤٦٦.

وقد احتوت هذه الكلمات الرسالية المخلدة على جملة حقائق:

أ ـ انحت الصديقة الزكية عليها السلام باللائمة على الانصار وغيرهم لنكوصهم عن نصرة الحق واهله، وتنازلهم عن مسؤولية نصرة الرسول صلى الله عليه وآله في أهله.

ب ـ اكدت الزهراء عليها السلام ان استقامة علي عليه السلام وحرصه على اقامة العدل، وتنمره في ذات الله عز وجل، وشجاعته في مواجهة الباطل واهله، هو الذي دعا القوم الى العدول عنه، وتأخيره عن الموقع الذي احله الله تعالى فيه.

جـ ـ اشارت الصديقة الطاهرة عليها السلام الى خصائص امير المؤمنين عليه السلام، وما يحققه للامة، لو مكنته الفرصة لقيادتها «لاوردهم منهلا نميرا، صافيا، رويا تطفح ضفتاه..».

د ـ ثم كشفت السيدة الطاهرة عليها السلام عن المنزلق الذي وضعوا عليه مستقبل الامة بما فعلوا... «هنالك يخسر المبطلون، ويعرف الباطلون غب ما أسس الاولون، ثم طيبوا عن دنياكم انفساً، واطمئنوا للفتنة جأشاً، وابشروا بسيف صارم، وسطوة معتد غاشم، وبهرج شامل، واستبداد من الظالمين يدع فيأكم زهيداً، وجمعكم حصيداً، فيا حسرتا لكم..».

وهكذا اطلت على الغيب المستور، وما تصير اليه امور الناس بعد

تلك الغفلة عن الحق، التي سدر فيها المسلمون....

ولقد صدقت الوقائع بنت النبي ﷺ فما هي الأ ايام حتى اقبلت الفتن على امة محمد ﷺ وساقها الظالمون بعصا الارهاب سوقاً عنيفاً، وجعلوا الناس خولاً، وأموال المسلمين دولة بين اولئك المجرمين الفجار...

ولقد شهدت المدينة المنورة ذاتها الكثير من الآلام والمآسي، خصوصاً في ايام بني امية حيث استبيحت الاعراض والاموال والنفوس ـ مما ليس هنا موضع ذكره ـ

هـ ـ ورغم ان نسوة الانصار صرن قنوات لنقل الحديث الحجة لفاطمة الزهراء عليها السلام الى الرجال، فان موقفهم ظل متردداً خائراً...

«فجاء قوم من المهاجرين والانصار معتذرين، وقالوا: يا سيدة النساء لو كان ابو الحسن ذكر لنا هذا الامر قبل ان يبرم العهد، ويحكم العقد لما عدلنا عنه الى غيره. فقالت: اليكم عني، فلا عذر بعد تعذيركم، ولا امر بعد تقصيركم»(١).

---

(١) انظر خطبتهافي نساءالانصارفي الاحتجاج :١٠٨ ـ ١٠٩ ،والمصادر الاخرى.

بيت الاحزان : بين عمق المأساة
وفاعلية الاحتجاج على الظلم

مقدمـة :

لا تهمنا كثيراً مواقف الاديان الوضعية، ولا الفلسفات المادية من الحزن والبكاء الذي يباشره الناس عند الحوادث المؤلمة في حياتهم، ولكننا نريد ان نتلمس موقف الرسالة الالهية عبر مراحلها المـتعددة على ايدي رسل الله عز وجل من هذه الظاهرة في حياة البشر..

فالحزن كظاهرة ترافق حياة الناس الطبيعيين، ذكرها القرآن الكريم ـ وهو لسان الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه ـ اكثر من اربعين مرة اذ يلاحظ ان القرآن الكريم يقرر حقيقة قائمة في هذه الحياة ان الحزن يشوب صفوها، ومواكب للـعيش فـيها، وقـد اشربت جميع مظاهرها بالحزن والكدر والضيق ولا توجد حياة نائية عن الاحزان الا في دار الخلود والرضوان: ﴿ان الذين قالوا: ربنا الله،

ثم استقاموا، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[١] .

﴿ألا ان اولياء الله لاخوف عليهم، ولا هم يحزنون﴾[٢] .

ويحدثنا القرآن الكريم ان نماذج من الصالحين قد تعرضوا الى حزن استثنائي عميق وهموم شديدة، من امثال نبي الله يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم آلاف التحية والسلام، حين افتقد يوسف ولده عليه السلام في القصة المعروفة في الكتب السماوية حيث بلغ بيعقوب عليه السلام الحزن مبلغه حتى فقد بصره، حيث عبر القرآن الكريم عن ذلك بقوله: ﴿وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم﴾[٣] .

ورغم ذلك الحزن الشديد الذي اصاب يعقوب عليه السلام طوال ثمانين عاماً فانه لم ينقص من قدره عند الله عز وجل ولم يطفف من قيمته، بل زاده الله تعالى شرفاً وعزاً وأجراً، وكان سيد اهل زمانه.

روى الزمخشري في تفسيره عن رسول الله صلى الله عليه وآله «انه سأل جبريل عليه السلام : ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف؟ قال: وجد سبعين ثكلى.

قال صلى الله عليه وآله : فما كان له من الاجر؟

---

(١) الأحقاف : ٤٦ .

(٢) يونس : ١٠ .

(٣) يوسف : ٨٤.

قال: اجر مائة شهيد، وما ساء ظنه بالله ساعة قط»[١].

وتفرق الرسالة السماوية بين الجزع المسموح والجزع المذموم «فالجزع المذموم ما يقع من الجهلة من الصياح والنياحة، ولطم الصدور، والوجوه، وتمزيق الثياب»[٢].

ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وآله على ولده ابراهيم عليه السلام وقال: «القلب يجزع، والعين تدمع، ولا نقول ما يسخط الرب، وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون»[٣].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما نهيتكم عن البكاء وانما نهيتكم عن صوتين احمقين: صوت عند الفرح، وصوت عن الترح»[٤].

واخرج البخاري «في باب من جلس عند المصيبة يعرف فيه الحزن من الجزء الاول من صحيحه» عن انس بن مالك قال: قنت رسول الله صلى الله عليه وآله شهراً حين قتل القراء، فما رأيته حزن حزناً قط اشد منه».

كما حزن رسول الله صلى الله عليه وآله على عمه ابي طالب عليه السلام وزوجته

---

(١) تفسير الكشاف: الامام جاد الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٢٨ هـ) ٢:٤٩٧ تفسير سورة يوسف آية ٨٤.

(٢) نفس المصدر ص٤٩٨.

(٣) نفس المصدر ص٤٩٨ وقال متفق عليه من حديث انس.

(٤) نفس المصدر والصفحة والترح: الحزن.

الصديقة خديجة بنت خويلد عليها السلام عند وفاتهما حزناً شديداً، حتى سمّى ذلك العام الذي توفيا فيه «عام الحزن» كما هوم معلوم مشهور.

ولقد دعا رسول الله صلى الله عليه وآله الى البكاء على سيد الشهداء عمه حمزة ابن عبد المطلب عليه السلام بعد استشهاده في احد كما هو مشهور.

اذ لما رأى نساء الانصار يبكين قتلاهن قال: لكن حمزة لا بواكي له[١]، وقوله صلى الله عليه وآله: «على مثل جعفر فلتبك البواكي»[٢] ولقد اقامت عائشة النوح على ابيها ابي بكر حين وفاته[٣].

ان تاريخ المسلمين حافل بالحزن على الموتى والشهداء منهم، كما ان تاريخ الادب حافل بتهييج المشاعر من اجل البكاء والحزن[٤].

ولم نعلم احداً عارض الحزن والبكاء الاّ عمر بن الخطاب الذي عارضته عائشة كثيراً، واعتبرته مخطئاً او ناسيا[٥].

وهكذا تنسجم نصوص الشريعة المقدسة، وسلوك النبي صلى الله عليه وآله

---

(١) مسند احمد ٢: ٤٠ وترجمة حمزة من طبقات ابن سعد٢: ١١ وغيرها.

(٢) الطبري خبر غزوة مؤتة.

(٣) الطبري ٤: حوادث عام ١٣ وفاة ابي بكر.

(٤) انظر ارشاد الساري في شرح البخاري ٣: ٢٩٨، وانظر عموم دواوين شعراء المسلمين القدامى.

(٥) راجع البخاري: ١: ١٥٥ ـ ١٥٦ كتاب الجنائز، وصحيح مسلم كتاب الجنائز.

واتباعه مع الطبيعة الانسانية مع وضع الضوابط القانونية الشرعية المناسبة لحفظ حالة التوازن المطلوب في حياة الانسان..

الصدّيقة في بيت الاحزان:

يمكننا ان نتصور ان بيت النبوة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله تحول الى بيت للاحزان: لوعة على فراق رسول الله صلى الله عليه وآله، وحزناً على عنوان عزة الامة الذي غاب شخصه الكريم عن دنيا الناس، وحسرة على انقطاع الوحي، وأسى على الاحداث التي ألمت بهذا البيت وأهله الذين كانوا مصدر الخير والبركة لهذا العالم... هذا من الوجهة المعنوية والوجدانية...

وفي البعد المادي الواقعي نجد والمؤرخين في خريطة البقيع: بقيع الغرقد، وقبالة مثوى حبيب القلوب، ومهوى الافئدة محمد رسول الله صلى الله عليه وآله، نجد «بَنِيَّة» كانت تقع قبلة قبر ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله كانت تأوي اليها فاطمة وحيدة النبي صلى الله عليه وآله تبكي اباها وتبكي على خسارة الامة بفقده، وتصوغ من عبرتها نظماً حزيناً، تبكي له عين الزمان:

قل للمغيب تحت اطباق الثرى ان كنت تسمع صرختي وندائيا
صبَّت عليّ مصائبٌ لو أنها صبّت على الايام صرن لياليا
قد كنت ذات حمى بظل محمد لا أخشى من ضيم وكان جماليا

فاليوم اخشع للذليل واتقي ضيمي وادفع ظالمي بردائيا
فاذا بكت قمرية في ليلها شجناً على غصن بكيت صباحيا
فلأجعلن الحزن بعدك مؤنسي ولأجعلن الدمع فيك وشاحيا
ماذا على من شمّ تربة احمد ان لا يشم مدى الزمان غواليا[١]

وغير ذلك من شعرها الشجي الذي يقطر حسرة وألما ولوعة[٢].

ويبدو ان حكومة الخلافة قد ضاقت ذرعاً من بكاء الصديقة الزهراء عليها السلام في دارها الملاصقة للمسجد النبوي لشعورها ان هذا البكاء يعبر في جانب منه عن شعور بالمرارة والسخط على الاوضاع التي ابتليت بها الامة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فجاء بعض شيوخ المدينة المنورة الى امير المؤمنين علي عليه السلام وسألوه ان يتدخل فيمنع الصديقة من البكاء او يقلل منه على الاقل[٣]، فلما ذاكرها حول حديث اولئك الرجال، رفضت حديثهم، فرأىٰ امير المؤمنين عليه السلام ان يبني لها في

(١) مناقب ابن شهر آشوب ١:٢٠٨، وذكر بعضه مسند احمد ٢:٤٨٩ والخوارزمي في مقتل الحسين عليه السلام : ١:٨٠، وغيرهم. الوشاح: شبه قلادة من نسيج عريض يرصع بالجواهر تشده المرأة بين العاتق والخصر ومراد الزهراء عليها السلام: اذرف الدمع حتى يغطي مكان الوشاح.

(٢) راجع عوالم العلوم: فاطمة الزهراء عليها السلام : ٤٥١ ـ ٤٥٦.

(٣) نفس المصدر: ٤٤٨ عن الصدوق «رض» في اماليه، والخصال وروضة الواعظين والبحار والطبرسي في مكارم الاخلاق وغيرها، راجع هامش ٤٤٨ ـ ٤٤٩ من العوالم.

تلك البقعة او قريباً منها بيتاً من جريد النخل سمّي «بيت الاحـزان» كانت الزهراء عليها السلام تأوى اليه فتؤدي بعض عبادتها لله عزوجل، وتذكر اباها وتبكيه، وقد اطلق عليه بعض المؤرخين «مسجد فاطمة»[١].

وكانت الصديقة الزهراء عليها السلام تقضي معظم نهارها في هـذا البـيت الحزين، فاذا حلّ السماء جاء علي عليه السلام فعاد بـها الى دارهـا، وقـد امسك بيدي الحسنين عليهما السلام اللذين كانا في مرحلة الطفولة بـين سـن السابعة والثامنة اذ كانا يصحبان امهما في ذلك البيت الحزين المحاط بالانكسار والاسى!

ومـن مـلاحظة للـوثائق المـتبقية نـجد المـعلومات التـالية: فـالزهراء عليها السلام كـانت تـباشر البكـاء فـي الايـام الاولى لفـقد ابـيها رسول الله صلى الله عليه وآله في دارها، ثم انـتقلت الى البـقيع قـرب قـبر اخـيها ابراهيم عليه السلام تحت ظل شجيرات هناك، ثم رأى امير المؤمنين «عـليه الصلاة والسلام» ان يبني لها بيتاً تتعبد فـيه وتـمارس حـزنها عـلى حبيب القلوب المؤمنة رسول الله صلى الله عليه وآله، عرف عند غالبية المؤرخـين

---

(١) بـيت الاحـزان مـما اجـمع مـؤرخـو السـنة والشـيعة عـلى وجـوده مـثل السمهودي في وفاء الوفا ٣: ٩٠٧ وذكر حديثا عن بيت الاحزان ذكره الغزالي انظر نصه في هامش ٤٨٩ من عوالم العلوم مصدر سابق، كما ذكره ابن جبير في رحلته ١٧٤ دار صادر بيروت ١٩٥٩م، كما يراجع وفاة فاطمة: للسـيد عبدالرزاق المقرم ص٩٧، والذهبي في تاريخ الإسلام وغيرهم كثير.

ببيت الاحزان، وسماه البعض «مسجد فاطمة» كما ذكرنا ..

على ان بناء علي عليه السلام لذلك البيت النائي ـ نسبياً ـ عن دارها كان سببه ان الحكومة قد شعرت بالضيق من بكاء الزهراء عليها السلام وحزنها، الذي كان يشكل في جانب منه احتجاجا على الحكومة الغاصبة، وشعوراً بالمرارة والاذى من عدم رعاية ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وديعته في الامة، حيث كانت دار الزهراء عليها السلام ملاصقة لمسجد النبي الذي اتخذت الحكومة منه داراً للخلافة، فكان بكاء الصديقة عليها السلام وحزنها ينعكس على رواد المسجد، والحاضرين فيه، الامر الذي دعاهم ان يطلبوا من علي عليه السلام ان يمنعها من البكاء من خلال وفد من شيوخ المدينة ـ كما ذكرنا ـ جاء لهذا الغرض. وتفيد بعض المعلومات التاريخية ان الشجرة التي كانت تبكي تحتها، وتجلس حزينة عندها في البقيع، قد عمدت الحكومة الى قطعها قبل بناء «بيت الاحزان» لشعور السلطة ان بكاءها او مشهدها الحزين وهي بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ووديعته يشكل حالة اعتصام سياسي ضد الحكم ..

هكذا كانت الظروف التي رافقت تأسيس بيت الاحزان الذي كان من بعض وجوهه معلماً من معالم الرفض والمرارة، والاسى والاحتجاج للعبة السياسية التي جرت بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله.

هذا ومن الجدير ذكره ان كتب التاريخ والادب القديم قد حفظت

قطعاً شعرية نادرة للصديقة الزهـراء عليها السلام طـفحت بـالاسى والحــزن وحرقة الفراق على ابيها رسول الله صلى الله عليه وآله كانت تلقيها مرة عـند القـبر الشريف عند زيارتها له ومرة في بيت احزانها، ومرة عند زيارة قبور الشهداء، وقد ذكرنا نماذج منها فيما مضى من حديث!

الصديقة توأم المصطفى ﷺ

بين رسول الله ﷺ وابنته الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام علاقة متميزة لا نعلم نظيراً لها، وقد شكّلت الزهراء عليها السلام الامتداد الطبيعي والرسالي لخاتم النبيين معاً، حتى طفحت تعليمات النبي ﷺ وتوجيهاته، ومواقفه بالكشف عن هذه الحقيقة المميزة في حياته، وسيرته، ورسالته..

ففاطمة الزهراء عليها السلام ابنته الوحيدة، وبضعة منه، يؤذيه ما يؤذيها، وفاطمة دون الناس يفتديها النبي ﷺ بنفسه: «فداها ابوها، فداها ابوها»، والزهراء عليها السلام لشدة رعايتها للمصطفى وتعلقها الخاص به، كان يسميها (أم أبيها).

وولد فاطمة الزهراء عليها السلام، وذريتها انما هم ولد رسول الله ﷺ وذريته، يقول رسول الله ﷺ: «كل بني ام ينتمون الى عصبتهم الاّ ولد فاطمة، فأني انا ابوهم، وعصبتهم»[1].

---

(١) ميزان الاعتدال ٢:١٨٠، ومستدرك الحاكم ٣:١٦٤، والجامع الصغير

والزهـراء عليها السلام سـيدة نسـاء العـالمين فـي الدنـيا وسـيدة نسـاء اهل الجـنة، وهـي التـي يـغضب الله لغـضبها، ويـرضى لرضـاها، وغير ذلك من خصائص جليلة امتازت بـها الصـديقة فـاطمة عليها السلام، وفي كل ذلك نصوص صـريحة واضـحة ضـمتها اسـفار المسـلمين وتراثهم المقدس.

ولهذه المزايا التي اختصت بها الزهـراء عليها السلام كـانت تـبادل ابـاها رسول الله صلى الله عليه وآله مشاعر المودة، والحنان، والاجلال، فلا يكاد احدهما يفارق الآخر الاّ اذا قهرته الظروف، فقد ذكـر المـؤرخـون للسـيرة المطهرة: ان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا عزم على سفر كان آخر مـن يـودعه فاطمة، واذا عاد من سفره، يفزع الى مسجده، فـيصلي للـه تـعالى ركعتين، ثم يسارع لزيارة فاطمة ابـنته عـليه وعـليها آلاف التـحية والسلام... فماذا يتوقع التاريخ حين تفاجأ فاطمة الزهراء عليها السلام بفقد ابيها الرسول صلى الله عليه وآله وهما في هذا المستوى من العلاقة والمـعرفة مـن احدهما بالآخر؟

هلمّ لنستمع الى الوثائق المتبقية بين ايدينا لتحدثنا عن بعض ما عانته الصديقة حين واجهت فقد ذلك الاب العظيم صلى الله عليه وآله:

← ٢:٢٣٤، وفيض القدير ٢:٦٢ ومجمع الزوائد ٤:٢٢٤ والخوارزمي في مقتل الحسين ١:٨٨ وغيرهم كثير.

١ ـ الزهراء تبكي اباها قبل وفاته:

باشرت الزهراء عليها السلام حزنها حين وثقت ان اباها ﷺ وشيك الرحيل، فكانت تتصور حياتها دون ذلك الاب العظيم ﷺ وتبكي، وتتصور حياتها دون تلك الرعاية والحنان المميز فتبكي، وتتصور انقطاع الوحي واخبار السماء عن البشرية، فتبكي... ولم يخفف من روعها وحزنها نسبياً الاّ اخبار النبي ﷺ لها انها اول اهله لحوقاً به!!

فقد حدث البخاري ومسلم والترمذي وابو داود وسواهم ان عائشة، حدثت: ان النبي ﷺ دعا فاطمة في شكواه الذي قبض فيه، فسارّها بشيء فبكت ثم دعاها فسارّها فضحكت فسئلت عن ذلك، فقالت: اخبرني النبي ﷺ انه مقبوض، فبكيت، ثم اخبرني اني اول اهله لحوقا به، فضحكت(١).

وقد فصلت بعض المصادر في هذا الموضوع اكثر من ذلك(٢).

٢ ـ في الساعات الاولى لوفاة رسول الله ﷺ:

ولما قضى الله عز وجل الموت على عبده ورسوله محمد ﷺ،

---

(١) البخاري ٦: ١٢ و٤: ٢٤٨ ومسلم ٤ـ١٩٠٤ حديث ٩٧ وغيرها.

(٢) انظر امالي الشيخ الصدوق: ٩٩ وغيره.

وقفت وحيدته الزهراء عليها السلام على جثمانه الطاهر، وهي تذوب حزناً وأسىً، ولكن حزنها العميق ذاك لم يخرجها عن رزانة، ولا حكمة، ولا عن رضىً بقضاء الله عزوجل، فقد نقل التاريخ من كلماتها ما يلي:

«يا أبتاه الى جبريل ننعاه، يا ابتاه من ربه ما أدناه:

يا ابتاه جنان الفردوس مأواه، يا أبتاه اجاب رباً دعاه»(١).

ثم انشدت تقول:

اغبرّ آفاق السماء وكوّرت	شمس النهار وأظلم العصران
فالأرض من بعد النبي كئيبة	أسفاً عليه كثيرة الرجفان
فليبكه شرق البلاد وغربها	ولتبكه مضر وكل يمان
وليبكه الطود المعظم جوّه	والبيت ذو الاستار والاركان
يا خاتم الرسل المبارك ضوؤه	صلّى عليك منزّل القرآن(٢)

---

(١) سنن النسائي ٤ـ١٣، ومسند احمد ٣ـ١٩٧، وصحيح ابن ماجه ١:٥٢٢ واعلام الورى للطبرسي وغيرهم.

(٢) عيون الاثر ٢/٣٤٠، مودّة القربى: ١٠٣، السيرة النبوية: ٣/٣٦٤ لاحمد دحلان، وأهل البيت: ١٦٤، ونور الابصار: ٥٣، عن بعضها الاحقاق: ١٠/٤٣٤ ورواه الخوارزمي في مقتله: ١/٨٠.

كما انشدت هذه المرثية الحزينة :

وقد رزئنا[١] به محضاً خليقته[٢]
صافي الضرائب[٣] والاعراق[٤] والنسب
وكنت بدراً ونوراً يستضاء به
عليك تنزل من ذي العزة الكتب
وكان جبريل روح القدس زائرنا
فغاب عنّا وكلّ الخير محتجب
فليت قبلك كان الموت صادفنا
لمّا مضيت وحالت دونك الحجب
انّا رزئنا بما لم يرزَ ذو شجن[٥]
من البريّة لا عجم[٦] ولا عرب

---

(١) توضيح : الرزء ـ بالضم والهمزة : المصيبة بفقد الاعزّة ، ورزئنا ـ على صيغة المجهول ـ اي اصبنا ، واسقطت الهمزة للتخفيف .
(٢) وقوله : محضا خليقته ، مفعول ثان لرزئنا على التجريد كقولهم : لقيت بزيد اسدا أي رزئت به بشخص محض الخليقة لا يشوبها كدر وسوء .
(٣) والضريبة: الطبيعة والسجيّة.
(٤) والاعراق : جمع عرق ـ بالكسر ـ وهو الاصل من كلّ شيء .
(٥) والشجن ـ بالتحريك : الهمّ والحزن .
(٦) والعجم ـ بالضم وبالتحريك : خلاف العرب .

ضاقت عليّ بلاد بعد ما رحبت
وسيم سبطاك خسفاً[١] فيه لي نصب
فأنت والله خير الخلق كلّهم
وأصدق الناس حيث الصدق والكذب
فسوف نبكيك ما عشنا وما بقيت
منّا العيون بتهمال لها سكب[٢]

٣ـ موقف الصديقة بعد دفن النبي صلى الله عليه وآله :

بعد يومين وليلة من وفاته، دفن رسول الله صلى الله عليه وآله في البقعة التي اعدها الله عز وجل مثوى لرسوله صلى الله عليه وآله.

وفي تلك الساعات الحزينة جرت اسوأ عملية تقوم بها امة بعد نبيها قبل ان يودع في قبره!! مما كانت تراه فاطمة الزهراء عليها السلام وديعة النبوة، وابنة الرسول صلى الله عليه وآله فيزيدها الماً، وحسرة وحزنا...

لقد خاطبت انس بن مالك ـ وكان خادماً لرسول الله صلى الله عليه وآله : بعبرة وحسرة وحنين؛ بعد عودتهم من دفن رسول الله صلى الله عليه وآله : يا أنس! اطابت

---

(١) وقال الجزري: الخسف: النقصان والهوان، وسيم كلّف وأُلزم، وهملت عينه: فاضت.

(٢) الشيخ المجلسي في البحار: ١٣٦/٣، عنه البحار: ١٩٦/٤٣ ح٢٧، ورواه في الاحتجاج: ١٤٥/١ ضمن خطبتها المشهورة (باختلاف يسير)، والطرائف: ٢٦٦، وعوالم العلوم: ٤٥٣.

انفسكم ان تحثوا على رسول الله التراب؟

ثم اقبلت كئيبة، حزينة، فوقفت على قبره الشريف ونادت:

امسى بخدي للدموع رسوم أسفاً عليك وفي الفؤاد كلوم[(١)]

والصبر يحسن في المواطن كلّها الاّ عليك فانّه معدوم

لا عتب في حزني عليك لو أنّه كان البكاء لمقلتي يدوم[(٢)]

ثم راحت تخاطب السبطين: الحسن، والحسين «عليهما الصلاة والسلام»:

اين أبوكما الذي كان يكرمكما ويحملكما مرة بعد مرة؟!

اين ابوكما الذي كان اشدّ الناس شفقة عليكما، فلا يدعكما تمشيان على الارض؟! ولا أراه يفتح هذا الباب ابداً، ولا يحملكما على عاتقه كما لم يزل يفعل بكما.

ثمّ مرضت ومكثت اربعين ليلة ـ الى آخر ما سيأتي في باب وفاتها [(٣)].

ثم وقفت عند سارية المسجد الشريف، وراحت تخاطب رسول

---

(١) الكلوم: الجروح.

(٢) برد الاكباد ٤٤، عنه الاحقاق: ٤٨٣/١٠.

(٣) المناقب لابن شهر اشوب: ٣: ١٣٧، عنه البحار ٤٣: ١٨١، ورواه في روضة الواعظين: ١٨١، وأهل البيت: ١٦٦، عنه الاحقاق: ١٩: ١٧٢ في هامشه، انظر العوالم: ٤٥٦.

الله صلى الله عليه وآله مشيرة للمأساة التي حلت بعده.

قد كان بعدك انباء.. كما اشرنا اليها فيما مضى.

وكان من شدة حزنها ووحشتها لفراق رسول الله صلى الله عليه وآله ما ذكره امير المؤمنين علي عليه السلام عن حالتها قال: غسلت النبي صلى الله عليه وآله في قميصه، فكانت فاطمة عليها السلام تقول: ارني القميص فاذا شمته غشي عليها، فلما رأيت ذلك غيبته»(١).

٤ ـ بلال يؤذن والزهراء تبكي:

روى الشيخ الصدوق «رض»: لمّا قبض النبي صلى الله عليه وآله امتنع بلال من الاذان وقال: لا اؤذن لاحد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وان فاطمة عليها السلام قالت ذات يوم اني اشتهي ان اسمع صوت مؤذن ابي عليه السلام بالاذان فبلغ ذلك بلالاً فأخذ في الاذان فلما قال: الله اكبر الله اكبر ذكرت اباها عليه السلام وايامه فلم تتمالك من البكاء، فلما بلغ الى قوله اشهد ان محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله شهقت فاطمة عليها السلام شهقة وسقطت لوجهها وغشي عليها فقال: الناس لبلال امسك يا بلال فقد فارقت ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله الدنيا وظنوا انها قد ماتت فقطع اذانه ولم يتمه، فأفاقت فاطمة عليها السلام وسألته ان يتم الاذان فلم يفعل وقال لها يا سيدة النسوان اني اخشى عليك مما

---

(١) الخوارزمي: مقتل الحسين عليه السلام: ١:١٧٧، والبحار ٤٣:١٥٧ ح٦.

تنزلينه بنفسك اذا سمعت صوتي بالاذان فأعفته عن ذلك.[١]

٥ ـ وتبكي اباها عند قبر حمزة بن عبد المطلب عليه السلام:

«كفاية الاثر[٢]: باسناده عن محمود بن لبيد قال: لمّا قبض رسول الله ﷺ كانت فاطمة عليها السلام تأتي قبور الشهداء، وتأتي قبر حمزة، وتبكي هناك، فلمّا كان في بعض الايام أتيت قبر حمزة فوجدتها «صلوات الله عليها» تبكي هناك فأمهلتها حتّى سكنت، فأتيتها وسلّمت عليها وقلت:

يا سيدة النسوان، قد والله قطّعت انياط[٣] قلبي من بكائك.

فقالت: يا با عمر لحقّ لي البكاء، فلقد اصبت بخير الآباء، رسول الله ﷺ واشوقاه الى رسول الله.

ثم أنشأت تقول:

اذا مات ميّت قلّ ذكره　　　وذكر أبي مذ مات والله اكثر

قلت: يا سيدتي، انّي أسألك عن مسألة تتلجلج في صدري،

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ١: ١٩٤.

(٢) كفاية الأثر: ونقله العوالم من اثبات الهداة ٢: ٥٥٣ ح٥٦٧، والبحار ٣٦: ٣٥٢ وغيرها.

(٣) انياط: جمع نوط: عرق غليظ متّصل بالقلب.

قالت: سل.

قلت: هل نصّ رسول الله صلى الله عليه وآله قبل وفاته على علي عليه السلام بالامامة؟

قالت: واعجباه، أنسيتم يوم غدير خم؟!

قلت: قد كان ذلك، ولكن اخبريني بما أسرّ اليك.

قالت: أُشهد الله تعالى لقد سمعته يقول: عليّ خير من أُخلفه فيكم، وهو الامام والخليفة بعدي، وسبطاي وتسعة من صلب الحسين ائمة ابرار، لئن اتّبعتموهم وجدتموهم هادين مهديّين، ولئن خالفتموهم ليكون الاختلاف فيكم الى يوم القيامة.

قلت: يا سيدتي فما باله قعد عن حقه؟!

قالت: يا با عمر، لقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله مثل الامام مثل الكعبة، اذ تؤتى ولا تأتي، او قالت: مثل عليّ.

ثمّ قالت: اما والله لو تركوا الحقّ على اهله، واتّبعوا عترة نبيه، لما اختلف في الله اثنان، ولورثها سلف عن سلف وخلف بعد خلف، حتى يقوم قائمنا التاسع من ولد الحسين، ولكن قدّموا من أخّره الله، وأخّروا من قدّمه الله، حتى اذا الحدوا المبعوث واودعوه الجدث المجدوث[١]، اختاروا بشهوتهم، وعملوا بآرائهم، تباً لهم، او لم

---

(١) توضيح: الجدث: القبر، والمجدوث: المحفور.

يسمعوا الله يقول: «وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة»[١] بل سمعوا ولكنّهم كما قال الله سبحانه: «فانّها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور»[٢] هيهات بسطوا في الدنيا آمالهم، ونسوا آجالهم، فتعساً لهم وأضل اعمالهم. اعوذ بك يا رب من الحور بعد الكور»[٣].

---

(١) القصص: ٦٨.

(٢) الحج: ٤٦.

(٣) الحور بعد الكور: الفساد بعد الصلاح او النقصان بعد الزيادة.

الدفن ليلاً صرخة احتجاج أبدي

تلاحقت حلقات المآسي على قلب الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء «عليها الصلاة والسلام»، وتتابعت الاحداث المؤلمة، التي كان الواحد منها كفيلاً بهد ركن الانسان...

لقد تتابعت المحن من فقد النبي ﷺ الى انقلاب الامة على وصيته وتخطيطه، واختيارها ما شاءت وما هوت، الى محاصرة دار علي وفاطمة عليهما السلام، ثم اقتحامه وما اصاب الصديقة الزهراء عليها السلام اثناء الاقتحام الظالم، من اذى واهانة، الى القاء القبض على من كان في الدار، واقتيادهم للبيعة عنوة، الى مصادرة ارث الزهراء عليها السلام من ابيها، وملكها الخاص في فدك، الى عدم تجاوب الانصار مع علي وفاطمة عليهما السلام عندما طلبا النصرة على المتجاوزين...

ان هذه الامور والاحداث التي تنوء الجبال الراسيات بحملها، تلاحقت على قلب الزهراء عليها السلام والبيت الرسالي عامة، وكان اكثر المنفعلين بهذه الاحداث الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام بنت

رسول الله ﷺ ووديعته في امته، فألمّ بـها السـقم، وانـتهب صـحتها المرض، بشكل عنيف، حتى نشبت المنية اظـفارها بـذلك الوجـود المقدس لوديعة النبوة، حيث اسلمها الوهن والمرض للفراش...

ورغم ذلك المرض الشديد وتفاقم العـلة فـأن الوديـعة الطـاهرة لرسول الله ﷺ لم تتخلّ ساعة عن اداء واجبها تجاه الرسالة والامة، ونذكر هنا موقفين:

١ ـ الزهراء عليها السلام تلقي الحجة على نساء المهاجرين والانصار:

حين انتشر خبر علة الزهراء عليها السلام التي توفيت بسببها، توافد عليها الناس لزيارتها، وكانت نسـاء الانـصار والمـهاجرين مـمن حـضر للقائها...

فقد حضرت دار الصديقة عليها السلام جمع من النسوة لهـذا الغـرض لم يذكر المؤرخون عددهن، ولكن من المؤكد ان يكون عددهن كبيراً، فلما استقر بهن الجلوس قلن: يا بنت رسول الله كيف اصبحت مـن علتك؟ فرأت وديعة النبوة ان الوقت مناسب جداً لالقاء الحجة على هؤلاء النسوة ومن خلالهن على رجالهن، فأجابت:

«اصبحت والله عائفة..» الخطبة[1].

---

(١) مـعاني الاخـبار للشـيخ الصـدوق ٣٥٤ ح١، وأمـالي الصـدوق ١: ٣٨٤،

وقد ذكرنا الخطبة فيما مضى من حديث، واشرنا الى ما حملته من حقائق دامغة للانحراف والنكوص عن الحق.

٢ ـ وديعة النبوة تفضح السلطة الحاكمة:

تناهى نبأ العلة التي ألمت بالزهراء عليها السلام الى اسماع الناس شيئاً فشيئاً، فزارها من زارها من الموالين لآل رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما تناهى النبأ الى سمع السلطة بذل الخليفة ابو بكر جهدا من اجل زيارة الصديقة الطاهرة عليها السلام في دارها...

بيد ان مضامين الروايات، تفيد ان الصديقة كانت تأبى لقاءه، وتصر على منعه من دخول دارها، فلا تزال مواقفه حية قائمة، ولا يزال ايذاؤه لها يفعل فعله في نفسها المقدسة...

بيد ان الخليفة وصاحبه عمر بن الخطاب بذلا جهداً مع امير المؤمنين علي عليه السلام ليكون وسيطاً عند السيدة البتول «عليها الصلاة والسلام»، فرأت ـ لموقع الامام عندها ـ ان تقبل وساطة الامام عليه السلام فتسمح لهما بدخول الدار، ولكن لا لترضيهما او ترضى عنهما او تدخل في حوار معهما، وانما من اجل ان تضعهما في مواجهة مع

← والاحتجاج للطبرسي: ١٤٦:١، والسقيفة وفدك للجوهري ١١٧ عن فاطمة بنت الحسين عليهما السلام، وشرح النهج لابن ابي الحديد ١٦ :٢٣٣، وكشف الغمة للاربلي: ٤٩٢:١، وابن طيفور في بلاغات النساء ص١٩، وغيرهم.

حجم الخطأ الذي وقعا فيه.

فبعد ان استقر بهما الجلوس ـ وكان علي عليه السلام بصحبتهما ـ قالا: كيف اصبحت يا بنت رسول الله؟

فقالت: اصدقاني هل سمعتما من رسول الله يقول: فاطمة بضعة مني فمن آذاها فقد آذاني؟

قالا: نعم، والله لقد سمعنا ذلك منه!

فرفعت يديها الى السماء، وقالت: «اللّهم اني اشهدك انهما قد آذياني، وغصبا حقي» ثم اعرضت عنهما، فلم تكلمها بعد ذلك(١).

هذا وقد ذكرت بعض المصادر تفصيلات اخرى(٢). اما المصادر ذات الصلة بالحكام فانها رغم محاولتها التغطية على الحقائق ما استطاعت فانها لم تستطع اخفاء الحقيقة بشكل كامل، فصحيح البخاري يذكر باسناده عن عائشة: ان فاطمة غضبت على أبي بكر، فلم تكلمه حتى توفيت(٣).

---

(١) كفاية الاثر: ابو القاسم الخزاز القمي الرازي ٦٤ ورواه المجلسي في البحار ٣٦: ٣٠٨ ح١٤٦ والسيد هاشم البحراني في البرهان: ٣: ٦٥ ح٨، وعوالم العلوم: باب ١٦: ٤٤٥

(٢) انظر علل الشرائع للشيخ الصدوق: ١: ١٨٥ ح٢، ونقله المجلسي عنه في البحار ٤٣: ٢٠١ ح٣١

(٣) البخاري: ٥: ١٧٧ وج٤: ٩٦، وتاريخ الطبري: ٢: ٤٤٨، وغيرهما.

ويبدو ان الصديقة عليها السلام كانت تريد ان تؤكد عدم رضاها عن الصحابيين مطلقاً كما شاءت ان ترسخه في التاريخ والسيرة، لا سيما وقد حضر هذا المشهد جمع من النسوة عند الزهراء عليها السلام ، ولعل ذلك كان بأمر منها صلوات الله عليها وتخطيط.

وهكذا تواصل الصديقة الزهراء عليها السلام التصريح بمواقفها ضد السلطة، وتعلن احتجاجها حتى الساعات الاخيرة من حياتها الشريفة.

اقتراب الاجل ووصية الزهراء عليها السلام

واشتدت على الصديقة عليها السلام علتها، فلما احست باقتراب اجلها راحت تفضي بوصاياها لامير المؤمنين علي «عليهما الصلاة والسلام» واحدة بعد الاخرى حول شؤونه الاجتماعية بعدها وحول كيفية تجهيزها، ودفنها، وموضع قبرها...

ونختار هنا رواية زين المحدثين الشهيد محمد بن الفتّال النيسابوري (ت ٥٠٨ هـ) اذ يقول:

مرضت فاطمة عليها السلام مرضاً شديداً ومكثت اربعين ليلة في مرضها الى ان توفيّت «صلوات الله عليها»، فلما نعيت اليها نفسها دعت ام ايمن، واسماء بن عميس، ووجّهت خلف عليّ فأحضرته.

فقالت: يا ابن عمّ انه قد نعيت الي نفسي، وانني لا ارى ما بي الّا انني لاحقة بأبي ساعة بعد ساعة وأنا اوصيك بأشياء في قلبي.

قال لها عليّ عليه السلام: أوصيني بما احببت يا بنت رسول الله، فجلس

عند رأسها واخرج من كان في البيت.

ثمّ قالت: يا ابن عمّ، ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتني.

فقال عليه السلام: معاذ الله أنت اعلم بالله وأبر وأتقى وأكرم وأشد خوفاً من الله ان أوبّخك بمخالفتي، قد عزّ عليّ مفارقتك وفقدك، الّا انه أمر لابدّ منه، والله جددت عليّ مصيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وقد عظمت وفاتك وفقدك، فإنّا لله وانّا اليه راجعون من مصيبة ما افجعها وآلمها وامضّها واحزنها، هذه والله مصيبة لاعزاء لها ورزيّة لا خلف لها.

ثم بكيا جميعا ساعةواخذ علي رأسها وضمّها الى صدره،ثم قال:

اوصيني بما شئت فانّك تجديني فيها امضي كما امرتني، واختار امرك على امري، ثمّ قالت:

جزاك الله عنّي خير الجزاء يا ابن عمّ رسول الله، اوصيك اولاً ان تتزوج بعدي بأُمامة، فانها تكون لولدي مثلي، فانّ الرجال لابدّ لهم من النساء.

قال: فمن اجل ذلك قال امير المؤمنين عليه السلام: اربع ليس الى فراقهنّ سبيل، أُمامة اوصتني بها فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله.

ثم قالت: اوصيك يا ابن عم، ان تتخذ لي نعشاً، فقد رأيت الملائكة صوّروا صورته.

فقال لها: صفيه لي. فوصفته، فاتّخذه لها، فأول نعش عمل على وجه الارض ذلك، وما رأى قبله ولا عمل احد.

ثمّ قالت: اوصيك ان لا يشهد جنازتي أحد من هؤلاء الذين ظلموني واخذوا حقّي، فانهم عدوّي وعدوّ رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا تترك ان يصلّي عليّ احد منهم، ولا من اتباعهم، وادفنّي في الليل اذا هدأت العيون ونامت الابصار.

ثم توفيّت «صلوات الله عليها وعلى ابيها وبعلها وبنيها» فصاح اهل المدينة صيحة واحدة، واجتمعت نساء بني هاشم في دارها، فصرخن صرخة واحدة كادت المدينة ان تتزعزع من صراخهنّ وهنّ يقلن: يا سيدّتاه، يا بنت رسول الله.

وأقبل الناس مثل عرف الفرس الى علي عليه السلام وهو جالس والحسن والحسين عليهما السلام بين يديه، يبكيان، فبكى الناس لبكائهما.

وخرجت أُمّ كلثوم وعليها برقعة وتجرّ ذيلها متجلّلة برداء عليها تسحبه وهي تقول: يا أبتاه، يا رسول الله، الآن حقّاً فقدناك، فقداً لا لقاء بعده ابدا.

واجتمع الناس، فجلسوا وهم يضجّون وينتظرون ان تخرج الجنازة فيصلّون عليها، وخرج ابو ذرّ فقال: انصرفوا، فانّ ابنة رسول

الله صلى الله عليه وآله قد أُخرّ اخراجها في هذه العشيّة، فقام الناس وانصرفوا. فلمّا ان هدأت العيون ومضى شطر من الليل، أخرجها علي والحسن والحسين عليهما السلام وعمّار والمقداد وعقيل والزبير وأبو ذرّ وسلمان وبريدة ونفر من بني هاشم، وخواصه، صلّوا عليها ودفنونها في جوف الليل، وسوّى علي عليه السلام حواليها قبوراً مزوّرة مقدار سبعة حتى لا يعرف قبرها. وقال بعضهم من الخواص: قبرها سوّي مع الارض مستوياً، فمسح مسحاً سواء مع الارض حتى لا يعرف موضعه»(١).

وروى اخطب خوارزم ابو المؤيد الموفق بن أحمد الحنفي:

عن ابن عباس قال: مرضت فاطمة مرضاً شديداً فقالت لاسماء بنت عميس: الا ترين الى ما بلغت، فلا تحمليني على سرير ظاهر، فقالت: لا لعمري ولكن اصنع نعشاً كما رأيت يصنع بالحبشة، قالت: فأرينيه، فأرسلت الى جرائد رطبة فقطعت من الاسواق، ثمّ جعلت على السرير نعشاً، وهو اول ما كان النعش، فتبسّمت، وما رؤيت متبسّمة الا يومئذ، ثم حملناها، فدفنّاها ليلا...(٢).

وعن اسماء بنت عميس: أنّ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله قالت

---

(١) روضة الواعظين ١٨١، عنه البحار ٤٣: ١٩١ ح٢، وهذه احدى روايات موقع قبرها المغيب.

(٢) حديث ابن عباس رواه باسناده عنه في مقتل الحسين ١ :٨٢، وكشف الغمة ٢ : ١٢٦، ومفتاح النجا: ١٠٣ (مخطوط)، وعنه الاحقاق ١٠ :٤٧٥.

لاسماء: اني قد استقبحت ما يصنع بالنساء، انه يطرح على المرأة الثوب فيصفها لمن رأى، فقالت اسماء: يا بنت رسول الله انا أُريك شيئاً رأيته بأرض الحبشة.

قال: فدعت بجريدة رطبة، فحسّنتها، ثمّ طرحت عليها ثوباً، فقالت فاطمة عليها السلام: ما احسن هذا وما اجمله، لا تعرف به المرأة من الرجل.

قال: قالت فاطمة عليها السلام: فاذا متّ فغسّليني انت، ولا يدخلن علي احد.

فلما توفيّت فاطمة عليها السلام جاءت عائشة تدخل عليها، فقالت اسماء:

لا تدخلي، فكلّمت عائشة ابا بكر فقالت:

ان هذه الخثعمية تحول بيننا وبين ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد جعلت لها مثل هودج العروس، فجاء ابو بكر، فوقف على الباب، فقال: يا أسماء، ما حالك على ان منعت ازواج النبي صلى الله عليه وآله، وجعلت لها مثل هودج العروس؟! فقالت اسماء لأبي بكر: هي أمرتني ان لا يدخل عليها أحد، وأريتها هذا الذي صنعت، وهي حيّة... فانصرف،

وغسلها علي واسماء[(١)].

وروى احمد بن حنبل في مسنده حول ذلك ما يلي:

عن امّ سلمى قالت: اشتكت فاطمة عليها السلام شكواها التي قبضت فيها فكنت امرّضها، فأصبحت يوما كأمثل ما رأيتها في شكواها تلك، قالت: وخرج علي عليه السلام لبعض حاجته، فقالت: يا أُمّاه، (اسكبي لي غسلاً، فسكبت لها غسلاً، فاغتسلت كأحسن ما رأيتها تغتسل، ثم قالت: يا أُمّاه) اعطيني ثيابي الجدد، فأعطيتها، فلبستها، ثم قالت: يا أُمّاه قدمي لي فراشي وسط البيت، ففعلت، فاضطجعت واستقبلت القبلة، وجعلت يدها تحت خدّها، ثم قالت: يا اماه، اني مقبوضة الآن وقد تطهّرت، فلا يكشفني احد، فقبضت مكانها، قالت: فجاء علي عليه السلام فأخبرته. فقال: والله لا يكشفها أحد فدفنها بغسلها»[(٢)].

والإتّفاق من طرق الشيعة والسنة على نقل رواية الاكتفاء بغسلها هي مع كون الحكم على خلافه عجيب، فان الفقهاء من الطريقين لا يجيزون الدفن الا بعد الغسل الاّ في مواضع ليس هذا منها، فكيف رويا هذا الحديث ولم يعلّلاه ولا ذكرا فقهه، ولا نبّها على الجواز ولا المنع، ولعلّ هذا امر يخصّها عليها السلام،

---

(١) كشف الغمة ٢: ١٢٦.

(٢) المسند: ٦: ٤٦١، وكشف الغمة ٢: ١٢٤ وما بين القوسين تكملة الرواية عند الخوارزمي ١: ٨١ ـ ٨٢ بأسناده.

وانما استدل الفقهاء على انه يجوز للرجل ان يغسّل زوجته بأنّ علياً غسّل فاطمة عليها السلام وهو المشهور[1].

(١) كشف الغمة ٢ : ١٢٥.

يقول أحمد بن الحسين البيهقي ان غسل الميت عند اهل العلم انما يجب بالوفاة، فلا يقوم الغسل قبله مقامه (الخوارزمي ١ : ٨٢) وفي هامش عوالم العلوم: ص ٥١٠، يحتمل المحدث المرحوم الشيخ عبدالله البحراني ان الغسل المذكور كان للتنظف من آثار الجروح التي تعرضت لها فاطمة الزهراء عليها السلام ثم غسلت الغسل الضروري بعد وفاتها غسلها امير المؤمنين عليه السلام كما تفيد الروايات والآثار الكثيرة.

علي على شفير قبر فاطمة

بعد ان فارقت الصديقة الزهراء عليها السلام الحياة شرع امير المؤمنين بتنفيذ وصاياها منذ الساعات الاولى لوفاتها؛ فقد عمل اولاً على صرف الناس عن المشاركة في عملية تجهيزها عليها السلام ـ كما رغبت ـ بواسطة نداء وجهه للجماهير الصحابي الفذّ ابو ذرّ الغفاري رضي الله عنه ، فعلى اثر دعوة الصحابي العظيم ابي ذر الغفاري الجموع الغفيرة الملتاعة للانصراف، انصرف الناس الى دورهم ومساكنهم ونامت عيون الناس تلك الليلة، وغطت المدينة في نومها الاّ ان بيتاً واحداً من بيوتها ظل مسهّداً، واللوعة تعتلج في صدور اهله والدموع لا تفارق عيون اصحابه ذلك هو: بيت النبوة...

فلما هدأت الانفاس، تولى علي والسبطان، وعدد يسير من بني هاشم والصحابة الابرار تجهيزها، فلما غسّلها الامام بادروا الى دفن الصديقة الطاهرة في مثواها...

وبعد نفض إمام الخلق بعد النبي «عليهما الصلاة والسلام» يديه من تراب القبر هاجت به احزانه، فوقف يتكىء على جرحه عند شفير القبر، وارسل دموعه مدراراً فتلا هذه الكلمات الفجيعة التي تقطر أسىً ولوعة، ومظلومية:

«السلام عليك يا رسول الله عني، والسلام عليك عن ابنتك وزائرتك والبائتة في الثرى ببقعتك، والمختار الله لها سرعة اللحاق بك، قلّ يا رسول الله عن صفيّتك صبري، وعفا[١] عن سيدة نساء العالمين تجلّدي[٢] الا أنّ في التأسي لي بسنّتك[٣] في فرقتك موضع تعزٍّ، فلقد وسّدتك في ملحودة قبرك، وفاضت[٤] نفسك بين نحري وصدري. بلى وفي كتاب الله (لي) انعم القبول[٥]، انّا لله وانّا اليه راجعون، قد استرجعت الوديعة[٦]، وأُخذت الرهينة، وأخلست

---

(١) العفو: المحو والانمحاء.

(٢) التجلّد: القوة.

(٣) الا ان في التأسي لي بسنّتك: أي بسنة فرقتك. والمعنى: ان المصيبة بفراقك كانت اعظم فكما صبرت على تلك مع كونها اشدّ فلأن اصبر على هذه اولى. والتأسي: الاقتداء بالصبر في هذه المصيبة، كالصبر في تلك.

(٤) فاضت نفسه: خرجت روحه.

(٥) اي فيه ما يصير سببا لقبول المصائب أنعم القبول.

(٦) استعار عليه السلام لفظ الوديعة والرهينة (لتلك النفس الكريمة لأنّ الارواح ←

الزهراء[١] فما أقبح الخضراء والغبراء.

يا رسول ا لله، أما حزني فسرمد، وامّا ليلي فمسهّد[٢]، وهم لا يبرح من قلبي، او يختار[٣] الله لي دارك التي انت فيها مقيم، كمد مقيّح[٤] وهم مهيّج، سرعان ما فرّق بيننا، والى الله اشكو.

وستنبّئك ابنتك بتظافر امّتك على هضمها[٥]، فاحفها[٦] السؤال، واستخبرها الحال، فكم من غليل[٧] معتلج[٨] بصدرها، لم تجد الى بثّه

← كالوديعة والرهن) في الابدان او لأنّ النساء كالودائع والرهائن عند الازواج، ويمكن ان يقرأ: «استرجعت» وقراءته على بناء المعلوم والمجهول، وهذه الهوامش استعرناها من عوالم العلوم: ٥١٧. الاّ ان استرجاع الوديعة ـ في نظري ـ واخذ الرهينة، اراد به امير المؤمنين عليه السلام ان وديعة النبي صلى الله عليه وآله ها هي قد اعيدت له، حيث كانت الزهراء عليها السلام وديعة رسول الله صلى الله عليه وآله عند علي عليه السلام».. هكذا أفهم كلام الامام عليه السلام .

(١) التخالس: التسالب.

(٢) السهود: قلة النوم.

(٣) او يختار: اي الى ان يختار.

(٤) الكمد ـ بالفتح والتحريك: الحزن الشديد، ومرض القلب منه، وهو امّا خبر لقوله همّ، او كلّ منهما خبر متبدأ محذوف.

(٥) الهضم: الظلم.

(٦) الاحفاء: المبالغة في السؤال.

(٧) الغليل: حرارة الجوف.

(٨) اعتلجت الامواج: التطمت .

سبيلاً، وستقول ويحكم الله وهو خير الحاكمين.

(والسلام عليكما)[١] سلام مودّع، لا قال ولا سئم، فان انصرف فلا عن ملالة، وان أُقم فلا عن سوء ظنّ بما وعد الله الصابرين.

واهاً واهاً، والصبر ايمن واجمل، ولولا غلبة المستولين لجعلت المقام واللبث لزاماً معكوفا[٢] ولأعولت اعوال[٣] الثكلى على جليل الرزية.

فبعين الله[٤] تدفن ابنتك سراً، وتهضم حقّها، ويمنع ارثها، ولم يتباعد العهد، ولم يخلق منك الذكر، والى الله يا رسول الله المشتكى وفيك[٥] يا رسول الله احسن العزاء، صلى الله عليك، وعليها السلام والرضوان»[٦].

وبعد هذه الكلمات الحزينة التفت امير المؤمنين عليه السلام الى مرقد

---

(١) ليس في المصدر.

(٢) عكفه يعكفه: حبسه.

(٣) الاعوال: رفع الصوت بالبكاء والصياح.

(٤) فبعين الله: اي تدفن ابنتك سرا متلبّسا بعلم من الله وحضوره وشهوده.

(٥) وفيك: اي في اطاعة امرك.

(٦) اصول الكافي: ١: ٤٥٨ ح٣، عنه البحار ٤٣: ١٩٣ ح٢١، وفي نهج البلاغة: ٣١٩ خطبة ٢٠٢، وكشف الغمة: ١: ٥٠٥، ومناقب ابن شهر اشوب: ٣: ١٣٩، وروضة الواعظين: ١٨٣، وأورده في اعلام النساء: ٣: ١٢٢١، عنه الاحقاق: ١٠: ٤٨١، ورواه عوالم العلوم: ٥١٧ ـ ٥١٨.

فاطمة الزهراء عليها السلام ثم دعا بهذا الدعاء:

اللهم انّي راضٍ عن ابنة نبيك، اللهم انّها قد أُوحشت فآنسها، اللهم انّها قد هُجرت فصلها، اللهم انّها قد ظُلِمت فاحكم لها وأنت خير الحاكمين[١].

---

(١) الخصال ٢: ٥٨٨، عنه البحار: ١٠٣: ٢٥٦، والعوالم: ٥١٨.

قبرها المغيّب شاهد حي على المأساة

لا يزال الدفن الليلي المكتوم لفاطمة بنت النبي ﷺ دليلاً على حجم المأساة وشاهداً على الاحتجاج التاريخي لآل محمد ﷺ على ما جرى عليهم بعد غياب النبي ﷺ.

كما لا يزال القبر المغيب لوديعة النبي ﷺ في امّته دليلاً آخر يعلن بالمأساة ويجأر بالكارثة التي حلت بعد رسول الله ﷺ.

فماذا يعني ان يغيب قبر فاطمة الزهراء عليها السلام بنت نبي الامة، ومؤسسها وعنوان عزتها؟

ان احداً من الامة ليس بمقدوره ان يقطع ان الزهراء عليها السلام قد دفنت في هذا المكان او غيره ابدا. فماذا يدل ذلك؟

فهل حدثك التاريخ ان زعيم امة فرطت امته بذريته كما فرطت امة محمد ﷺ بذرية رسول الله محمد ﷺ؟

ان روايات المؤرخين حين تتحدث عن مثوى بنت النبي الخاتم صلى الله عليه وآله تفترض عدة بقاع، وعدة اماكن على الشكل التالي:

المناقب لابن شهر آشوب: قال ابو جعفر الطوسي: الاصوب انها مدفونة في دارها او الروضة، يؤيّد قوله قول النبي صلى الله عليه وآله: «**ان بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة**».

وفي البخاري[١]: بين بيتي ومنبري، وفي الموطّأ[٢] والحلية[٣] الترمذي[٤] ومسند احمد بن حنبل[٥]: ما بين بيتي ومنبري.

وقال صلى الله عليه وآله: منبري على ترعة من ترع الجنة[٦]. وقالوا: حدُّ الروضة ما بين القبر الى المنبر الى الاساطين التي تلي صحن المسجد[٧].

---

(١) ٣: ٢٩ (باسناده) عن ابي هريرة.
(٢) ١: ١٩٧ ح١، (باسناده) عن ابي سعيد الخدري وح١١ (باسناده) عن عبدالله بن زيد المازني.
(٣) ٣٤٧/٦ (باسناده) عن عبدالله بن يزيد المازني.
(٤) ٥: ٧١٨ ح٣٩١٥ (باسناده) عن علي بن ابي طالب عليه السلام وابي هريرة، وص٧١٩ ح٣٩١٦ (باسناده) عن ابي هريرة.
(٥) ٢: ٤٠١ (باسناده) عن ابي هريرة.
(٦) وذكر في الموطّأ: ١: ١٩٧ ذح١. والبخاري ٣: ٢٩، ومسند احمد: ٢: ٤٠١ ـ في حديث ـ عنه صلى الله عليه وآله: منبري على حوضي.
(٧) قال الصدوق في معاني الاخبار: ٢٦٧: حدّثنا محمد بن موسى بن

احمد بن محمد بن ابي نصير قال: سألت ابا الحسن عليه السلام عن قبر فاطمة عليها السلام فقال: دفنت في بيتها، فلمّا زادت بنو أُمية في المسجد صارت في المسجد[١].

طبقات ابن سعد: (باسناده) عن محمد بن عمر قال: سألت عبدالرحمن بن ابي الموالي قال: قلت: ان الناس يقولون:

ان قبر فاطمة عند المسجد الذي يصلّون اليه على جنائزهم بالبقيع.

← المتوكل ـ رضي الله عنه ـ قال: حدّثنا علي بن الحسين السعد آبادي، عن احمد بن ابي عبدالله البرقي، عن ابيه، عن ابن ابي عمير، عن بعض اصحابنا، عن ابي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على ترعة من ترع الجنة.
لانّ قبر فاطمة «صلوات الله عليها» بين قبره ومنبره، وقبرها روضة من رياض الجنة، واليه ترعة من ترع الجنة. ورواه قريبا منه في الفقيه: ٢: ٥٧٢، وروضة الواعظين: ١٨٣.

(١) مناقب ابن شهر آشوب: ٣: ١٣٩، عنه البحار: ٤٣: ١٨٥ ح١٧، ورواه في الكافي: ١: ٤٦١، والفقيه: ١: ٢٢٩ ح٦٨٥، وج٢: ٥٧٢، ومعاني الاخبار: ٢٦٨، وعيون اخبار الرضا: ٢٤٢ ح٧٦، والتهذيب: ٣: ٢٥٥ ح٢٥، واخرجه في البحار: ١٠: ١٩١ ح١ عن العيون، وذكره في ذخائر العقبى: ٥٤ نقلا عن الدرّة الثمينة (بسنده) عن عبدالله بن جعفر بن محمد: وذكره في عمدة الاخبار: ١٢٩، وشفاء الغرام: ٢: ٣٦٠، عنهما احقاق الحق: ١٠: ٤٧٧، وذكره ايضا وفاء الوفا: ٣: ٩٠٢ عن ابن شبة.

فقال: والله ما ذاك الا مسجد رقية ـ يعني امرأة عمّرته ـ وما دفنت فاطمة الاّ في زاوية دار عقيل[١] ممّا يلي دار الجحشيّين، مستقبل خرجة بني نبيه من بني عبدالدار بالبقيع، وبين قبرها وبين الطرق سبعة اذرع[٢].

من الطبقات (باسناده) ايضا عن عبدالله بن حسن قال: وجدت المغيرة بن عبدالرحمن ابن الحارث بن هشام واقفا ينتظرني بالبقيع نصف النهار في حرّ شديد.

فقلت: ما يوقفك يا ابا هاشم ها هنا؟ قال: انتظرك، بلغني ان فاطمة دفنت في هذا البيت في دار عقيل ممّا يلي دار الجحشيّين فأُحبّ ان تبتاعه لي بما بلغ أُدفن فيها.

فقال عبدالله: والله لأفعلنّ، فجهد بالعقيليين فأبوا.

قال عبدالله بن جعفر: وما رأيت احداً يشك انّ قبرها في ذلك الموضع[٣].

---

(١) في وفاء الوفا: ٣: ١و٩: ابن شبّة عن محمد بن علي بن عمر انّه كان يقول: انّ قبر فاطمة بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله» زاوية دار عقيل اليمانيّة، الشارعة بالبقيع، وفي «عمدة الاخبار»: ١٢٩ عن ابن شبة (مثله) ونقل عنه الاحقاق: ١٠: ٤٤٧، ورواه العوالم: ٥٢٧.

(٢) نفس المصدر: ٨: ٣٠.

(٣) نفس المصدر.

مروج الذهب: قال المسعودي: ولعشر سنين خلت من خلافة المنصور توفي ابو عبدالله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام، سنة ثمان واربعين ومائة، ودفن بالبقيع مع ابيه وجده، وله خمس وستون سنة.

وقيل: انه سمّ، وعلى قبورهم في هذا الموضع من البقيع رخامة عليها مكتوب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مبيد الامم، ومحيي الرمم، هذا قبر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله سيدة نساء العالمين، وقبر الحسن بن علي بن أبي طالب، وعلي بن الحسين بن علي بن ابي طالب، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد عليهم السلام (١).

وفاء الوفا: وحكى ابن جماعة في قبر فاطمة عليها السلام قولين آخرين:

احدهما: انّه الصندوق الذي امام مصلّى الامام بالروضة الشريفة، قال: وهو بعيد جدا.

وثانيهما: انه بالمسجد المنسوب اليها بالبقيع، يعني الذي بالقرب من قبّة العبّاس من جهة القبلة جانحاً الى المشرق.

وقد ذكر الغزالي هذا المسجد في زيارة البقيع فقال: ويستحبّ له

---

(١) مروج الذهب: المسعودي الهذلي ٣: ٢٨٥، عنه وفاء الوفا: ٣: ٩٠٥.

ان يخرج كل يوم الى البقيع بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله، وذكر القبور التي تزار، وقال عند ذكر قبر الحسن: ويصلّى في مسجد فاطمة عليها السلام، وذكره ايضا غيره(١).

الاستيعاب: بعد ان ذكر وفاة الحسن عليه السلام قال:

ودفن الى جنب امّه فاطمة الزهراء عليها السلام(٢).

عمدة الاخبار: مشهد فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو داخل قبّة العباس والى جانبها ابنها الحسن عليه السلام لما ورد أنّ الحسن بن علي عليهما السلام حين احسّ بالموت قال:

ادفنوني جنب امّي عليها السلام وذلك بعد ان منع من عند جدّه صلى الله عليه وآله(٣).

ذخائر العقبى: اخبرني أخ في الله تعالى ان ابا العباس المرسي كان اذا زار البقيع وقف امام قبّة العباس وسلّم على فاطمة عليها السلام(٤).

تاريخ الاسلام: قيل: ان قبر فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) ٣: ٩٠٧.

(٢) الاستيعاب: لعبد البرّ ١: ٣٧٧، عنه ذخائر العقبى: ٥٤، ووسيلة المآل: ٩٣ ثم قال: قبر الحسن عليه السلام معروف بجنب قبر العباس بالبقيع ولم يعلم لفاطمة عليها السلام ثمّ قبر، غير ان هناك في قبلي القبّة محل يقال: انه قبرها اطّلع عليه بعض اولياء الله بالكشف فتكون على هذا مع الحسن عليه السلام والعبّاس في القبّة فينبغي ان يسلّم عليها ثمّة.

(٣) عمدة الاخبار: ١٢٩، عنه الاحقاق: ١: ٤٧٦.

(٤) ٥٤، عنه وفاء الوفا ٣: ٩٠٧، وفي عمدة الاخبار: ١٢٩، عنه الاحقاق ١: ٤٧٧.

بالمسجد المنسوب اليها بالبقيع، وهو المعروف ببيت الاحزان ويستحبّ ان يأتيه ويصلّى فيه.

وقيل: ان قبرها في بيتها، وهو مكان المحراب الخشب، الذي خلف الحجرة المقدّسة داخل الدرابزين، قيل: هذا أظهر الأقوال[١].

وهكذا فإنَّ تغييب قبر الزهراء عليها السلام ومجهوليته حتى اليوم يشكل اعظم المظلوميات[٢] في تاريخ المسلمين، وستبقى هذه المظلومية ماثلة امام اعين العقلاء واصحاب الضمائر عبر التاريخ حتى تكشف الحقائق، ويصرح بالواقع على يد مهدي آل محمد صلى الله عليه وآله.

---

(١) تاريخ الاسلام للذهبي: ٢٩٩، عنه الاحقاق: ١٠: ٤٧٦.

(٢) وهكذا يتضح ان قبر الصديقة الزهراء «عليها السلام» لا يزال مجهولا منذ وفاتها صلوات الله عليها ولا يملك المؤمنون حتى الآن دليلا قاطعا على انه موجود في هذا المكان دون غيره، ولكن البعض يرجح هذا الموقع على غيره بأمارات يراها دليلا دون ان يقطع بشكل مطلق، وهذه من اعظم المظلوميات في تاريخ المسلمين.

وثائــق

وفي ختام هذا البحث المتواضع نود ان نختار مجموعة من الوثائق التاريخية المتعلقة بسيرة الصديقة الزهراء عليها السلام دون ان نتصرف بها:

وثيقة رقم «١»

مناقب الخوارزمي عن أنس قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وآله فغشيه الوحي، فلمّا أفاق قال لي: يا أنس أتدري ما جاءني به جبرئيل من عند صاحب العرش؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: أمرني أن أزوج فاطمة من علي، فانطلقْ فادعُ لي أبا بكر وعمراً وعثمان وعلياً وطلحة والزبير، وبعددهم من الأنصار قال: فانطلقت فدعوتهم له.

فلمّا أن أخذوا مجالسهم قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«الحمد لله المحمود بنعمته، المعبود بقدرته، المطاع في سلطانه، المرهوب من عذابه، المرغوب إليه فيما عنده، النافذ أمره في أرضه

وسمائه، الذى خلق الخلق بقدرته، وميزهم بأحكامه، وأعـزهم بـدينه، وأكرمهم بنبيّه محمّد، ثمّ إن الله جـعل المـصاهرة نسـباً لاحـقاً، وأمـراً مفترضاً، وشـج[١] بها الأرحام، وألزمها الأنام فقال تبارك اسمه وتعالىٰ جده: ﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكـان ربّك قديراً﴾[٢] فأمر الله يجري إلىٰ قضائه، وقضاؤه يجري إلىٰ قدره، فلكلّ قضاء قدر، ولكل قدر أجل، ولكل أجل كتاب ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾»[٣].

ثمّ إني أشهدكم أني قد زوجت فاطمة من عليّ علىٰ أربعمائة مثقال فضّة إن رضي بذلك علي ـ وكان غائباً قد بعثه رسول الله ﷺ في حاجة ـ ثمّ أمر رسول الله ﷺ بطبق فيه بسر فوضع بين أيدينا، ثمّ قال: انتهبوا، فبينا نحن كذلك إذ أقبل علي فتبسم إليه رسول الله ﷺ ثمّ قال:

يا عليّ إن الله أمرني أن أزوجك فاطمة، وقد زوجتكها علىٰ أربعمائة مثقال فضّة أرضيت؟ قال: رضيت يا رسول الله، ثـمّ قـام عـلـي فـخر لله ساجداً.

---

(١) بيان: قال الجزري: وشـج العـروق والأغـصان: اشـتبكت، ومـنه حـديث علي عليه السلام: ووشّج بينها وبين أزواجها أي وألف.

(٢) الفرقان: ٥٤.

٣ـ الرعد: ٣٩.

فقال النبي ﷺ: جعل الله فيكم [الخير] الكثير الطيبّ وبارك فيكما».

قال أنس: «والله لقد اخرج منهما الكثير الطيب»[(١)].

وثيقة رقم (٢)

الإمامة والسياسة: إنّ أبا بكر تفقد قوماً تخلّفوا عن بيعته عند عليّ، فبعث إليهم عمر ـ إلىٰ أن قال:

ثمّ قام عمر، فمشىٰ معه جماعة، حتّىٰ أتوا باب فاطمة، فدقّوا الباب، فلّما سمعت أصواتهم نادت بأعلىٰ صوتها:

يا أبة يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب، وابن أبي قحافة، ـ إلىٰ أن قال: فقالت: أرأيتكما إن حدّثتكما حديثاً عن رسول الله ﷺ تعرفانه وتفعلان به؟ قالا: نعم.

فقالت: نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله ﷺ يقول:

رضىٰ فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحبّ فاطمة ابنتي فقد أحبني، ومن أرضىٰ فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟.

قالا: نعم سمعناه من رسول الله ﷺ، قالت: فإنّي أُشهد الله

---

(١) مناقب الخوارزمي: ٢٤١، فرائد السمطين ١:٨٩ ح٥٩، ذخائر العقبى: ٣٠، وعوالم العلوم: ٣٠٤ ـ ٣٠٥.

وملائكته أنكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبيّ لأشكوّنكما إليه. فقال أبو بكر: أنا عائذ بالله تعالىٰ من سخطه وسخطك يا فاطمة.

ثمّ انتحب أبو بكر يبكي، حتّىٰ كادت نفسه أن تزهق، وهي تقول: والله لأدعوّن الله عليك في كل صلاة أصليها، ثمّ خرج باكياً، فأجتمع إليه الناس، فقال لهم: يبيت كلّ رجل منكم معانقاً حليلته، مسروراً بأهله، وتركتموني وما أنا فيه. لا حاجة لي في بيعتكم، أقيلوني بيعتي[1].

الملل والنحل: إنّ عمر ضرب بطن فاطمة عليها‌السلام يوم البيعة حتّىٰ ألقت الجنين من بطنها وكان يصيح؛ إحرقوا دارها بمن فيها، وما كان في الدار غير عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم‌السلام[2].

عليهم‌السلام إنّ عمر رفس فاطمة عليها‌السلام حتّىٰ سقطت بمحسن[3].

وثيقة رقم (٢)

إثبات الوصية:... فأقام أمير المؤمنين عليه‌السلام ومن معه من شيعته في منزله بما عهد إليه رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله فوجّهوا إلىٰ منزله، فهجموا عليه،

---

١ ـ الإمامة والسياسة: ١٢.

٢ ـ الملل والنحل: ١: ٧٥٧ للشهرستاني.

٣ ـ لسان الميزان: ١: ٢٦٨.

وأحرقوا بابه واستخرجوه منه كرهاً، وضغطوا سيّدة النساء بالباب حتّىٰ أسقطت محسناً، وأخذوه بالبيعة فامتنع وقال: لا أفعل، فقالوا: نقتلك، فقال: إن تقتلوني فإنّي عبد الله وأخو رسوله....[(١)].

شرح النهج لإبن أبي الحديد: هذا الخبر أيضاً قرأته على النّقيب أبي جعفر فقال: إذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله أباح دم هبّار بن الأسود لأنّه روّع زينب فألقت ذا بطنها، لظهر الحال أنّه لو كان حياً لأباح دم من روّع فاطمة حتّىٰ ألقت ذا بطنها.

فقلت: أروي عنك ما يقوله قوم: إنّ فاطمة روّعت فألقت المحسن؟[(٢)]

لسان الميزان: (بإسناده) عن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه قال:

دخلت علىٰ أبي بكر أعوده، فأستوىٰ جالساً... فقال: إنيّ لا آسىٰ علىٰ شيء إلاّ علىٰ ثلاث وددت أنّي لم أفعلهنّ:

وددت أنيّ لم أكشف بيت فاطمة وتركته، وأن أُغلق على الحرب.

وددت أنّي يوم السقيفة كنت قدفت الأمر في عنق أبي عبيدة أو عمر فكان أميراً وكنت وزيراً....[(٣)]

---

(١) اثبات الوصية للمسعودي: ١٤٣، وعنه البحار ٢٨: ٣٨ ح ٥.

(٢) شرح النهج: ١٤: ١٩٢، وعنه البحار ٢٨: ٣٢٣.

(٣) لسان الميزان: ٤: ١٨٩، ورواه في الإمامة والسياسة: ١: ١٨ (مثله)،

وثيقة رقم «٤»

شرح النهج لابن أبي الحديد: (باسناده) عن عيسىٰ بن عبد الله بن محمّد بن عليّ عليه السلام، عن أبيه، عن جدهّ، عن عليّ عليه السلام قال:

جاءت فاطمة عليها السلام إلىٰ أبي بكر وقالت: إنّ أبي أعطاني فدكاً، وعلي وأم أيمن يشهدان، فقال: ما كنت لتقولي علىٰ أبيك إلّا الحقّ، قد أعطيتكها، ودعا بصحيفة من أدم فكتب لها فيها.

فخرجت فلقيت عمر، فقال: من أين جئت يا فاطمة؟ قالت: جئت من عند أبي بكر، أخبرته أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أعطاني فدكاً، وأنّ علياً وأُم أيمن يشهدان لي بذلك، فأعطانيها، وكتب لي بها.

فأخذ عمر منها الكتاب، ثمّ رجع إلىٰ أبي بكر فقال: أعطيت فاطمة فدكاً، وكتبت بها لها؟ فقال: نعم. فقال:

إنّ علياً يجرّ إلىٰ نفسه، وأُم أيمن امرأة، وبصق في الكتاب فمحاه وخرّقه[١].

السيرة الحلبية: في كلام سبط ابن الجوزيّ:

أنّه كتب لها بفدك، ودخل عليه عمر فقال: ما هذا؟

← وعوالم العلوم: ٤١٧.

(١) شرح النهج: ١٦: ٢٧٤.

فقال: كتاب كتبته لفاطمة بميراثها من أبيها. فقال: ممّاذا تنفق علىٰ المسلمين وقد حاربتك العرب كما ترىٰ؟ ثمّ أخذ عمر الكتاب فشقّه(١).

وثيقة رقم ٥

المأمون يرد فدكاً علىٰ ذرية الزهراء عليها السلام

١ ـ **الطرائف:** نقلاً عن صاحب التاريخ المعروف بالعباسي، وعن الروحي الفقيه في تاريخه في حوادث سنة ثماني عشرة ومائتين:

إنّ جماعة من ولد الحسن والحسين عليهما السلام رفعوا قصّة إلى المأمون الخليفة العباسي من بني العباس يذكرون أنّ فدكاً والعوالي كانت لأُمّهم فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله نبيّهم، وأن أبا بكر أخرج يدها عنها بغير حقّ، وسألوا المأمون إنصافهم وكشف ظلامتهم، فأحضر المأمون مائتي رجل من علماء الحجاز والعراق وغيرهم، وهو يؤكّد عليهم في أداء الأمانة واتّباع الصدق، وعرّفهم ما ذكره ورثة فاطمة في قضيّتهم وسألهم عمّا عندهم من الحديث الصحيح في ذلك.

فروى غير واحد منهم عن بشير بن الوليد والواقدي وبشر بن عتاب في أحاديث يرفعونها إلىٰ محمّد صلى الله عليه وآله نبيّهم، لّما فتح خيبر

---

(١) السيرة الحلبية: ٣: ٣٦٢.

اصطفىٰ لنفسه قرىً من قرى اليهود، فنزل عليه جبرئيل عليه السلام بهذه الآية ﴿وآت ذا القربىٰ حقّه﴾[1].

فقال محمّد صلى الله عليه وآله: ومن ذو القربىٰ وما حقّه؟

قال: فاطمة عليها السلام تدفع إليها فدكاً، فدفع إليها فدكاً ثمّ أعطاها العوالي بعد ذلك، فاستغلتها حتّىٰ توفي أبوها محمّد صلى الله عليه وآله.

فلمّا بويع أبو بكر منعها أبو بكر منها، فكلّمته فاطمة عليها السلام في ردّ فدك والعوالي عليها وقالت له: إنّها لي وإنّ أبي دفعها إليّ.

فقال أبو بكر: ولا أمنعك ما دفع إليك أبوك.

فأراد أن يكتب لها كتاباً فاستوقفه عمر بن الخطّاب وقال: إنها امرأة فادعها بالبيّنة علىٰ ما ادّعت، فأمر أبو بكر أن تفعل، فجاءت بأم أيمن وأسماء بنت عميس مع علي بن أبي طالب صلى الله عليه وآله فشهدوا لها جميعاً بذلك، فكتب لها أبو بكر، فبلغ ذلك عمر فأتاه فأخبره أبو بكر الخبر، فأخذ الصحيفة فمحاها.

فقال: إنّ فاطمة امرأة وعلي بن أبي طالب زوجها وهو جارّ إلىٰ نفسه ولا يكون، فأرسل أبو بكر إلىٰ فاطمة عليها السلام فأعلمها بذلك، فحلفت بالله الذي لا إله إلاّ هو أنّهم ما شهدوا إلاّ بالحقّ.

---

(١) الإسراء: ٢٦.

فقال أبو بكر: فلعلّ أن تكوني صادقة ولكن احضري شاهداً لا يجرّ إلىٰ نفسه.

فقالت فاطمة: ألم تسمعا من أبي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أسماء بنت عميس وأُم أيمن من أهل الجنّة؟ فقالا: بلىٰ. فقالت: امرأتان من الجنة تشهدان بباطل! فأنصرفت تنادي أباها وتقول: قد أخبرني أبي بأنّي أوّل من يلحق به، فوالله لأشكونّهما. فلم تلبث أن مرضت فأوصت عليّاً عليه السلام أن لا يصلّيا عليها وهجرتهما فلم تكلّمهما حتّىٰ ماتت، فدفنها عليّ عليه السلام والعباس ليلاً.

فدفع المأمون الجماعة عن مجلسه ذلك اليوم، ثمّ أحضر في اليوم الآخر ألف رجل من أهل الفقه والعلم وشرح لهم الحال وأمرهم بتقوى الله ومراقبته، فتناظروا واستظهروا ثمّ افترقوا فرقتين:

فقالت طائفة منهم: الزوج عندنا جارّ إلىٰ نفسه فلا شهادةله ولكنّا نرىٰ يمين فاطمة قد أوجبت لها ما ادّعت مع شهادة الامرأتين.

وقالت طائفة: نرى اليمين مع الشهادة لا توجب حكماً ولكن شهادة الزوج عندنا جائزة ولا نراه جاراً إلىٰ نفسه، فقد وجب بشهادته مع شهادة الامرأتين لفاطمة عليها السلام ما ادّعت.

فكان اختلاف الطائفتين إجماعاً منهما علىٰ استحقاق فاطمة عليها السلام

فدك والعوالي، فسألهم المأمون بعد ذلك عن فضائل لعليّ بن أبي طالب عليه السلام، فذكروا منها طرفاً جليلة قد تضمّنه رسالة المأمون.

وسألهم عن فاطمة عليها السلام فرووا لها عن أبيها فضائل جميلة.

وسألهم عن اُم أيمن وأسماء بنت عميس فرووا عن نبيّهم محمد صلى الله عليه وآله أنّهما من أهل الجنّة.

فقال المأمون: أيجوز أن يقال أو يعتقد أنّ عليّ بن أبي طالب مع ورعه وزهده يشهد لفاطمة بغير حقّ؟ وقد شهد الله تعالىٰ ورسوله بهذه الفضائل له، أو يجوز مع علمه وفضله أن يقال أنّه يمشي في شهادة وهو يجهل الحكم فيها؟

وهل يجوز أن يقال أنّ فاطمة مع طهارتها وعصمتها وأنّها سيّدة نساء العالمين، وسيّدة نساء أهل الجنّة كما رويتم، تطلب شيئاً ليس لها، تظلم فيه جميع المسلمين وتقسم عليه بالله الذي لا إله إلاّ هو؟ أو يجوز أن يقال عن اُمّ أيمن وأسماء بنت عميس أنّهما شهدتا بالزور وهما من أهل الجنّة؟ إنّ الطعن علىٰ فاطمة وشهودها، طعن علىٰ كتاب الله وإلحاد في دين الله، حاشا الله أن يكون ذلك كذلك.

ثمّ عارضهم المأمون بحديث رووه: إنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام أقام منادياً بعد وفاة محمّد صلى الله عليه وآله نبيّهم ينادي: من كان له علىٰ رسول

الله صلى الله عليه وآله دين أو عدة فليحضر، فحضر جماعة فأعطاهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام ما ذكروه بغير بيّنة، وإنّ أبا بكر أمر منادياً ينادي بمثل ذلك، فحضر جرير بن عبد الله وادّعىٰ علىٰ نبيّهم عدة فأعطاها أبو بكر بغير بيّنة، وحضر جابر بن عبد الله وذكر أنّ نبيّهم وعده أن يحثوا له ثلاث حثوات من مال البحرين، فلمّا قدم مال البحرين بعد وفاة نبيّهم أعطاه أبو بكر الثلاث الحثوات بدعواه بغير بيّنة.

(قال عبد المحمود): وقد ذكر الحميدي هذا الحديث في الجمع بين الصحيحين في الحديث التاسع من أفراد مسلم من مسند جابر وأنّ جابراً قال:

فعددتها فإذا هي خمسمائة، فقال أبو بكر خذ مثليها.

قال رواة رسالة المأمون: فتعجّب المأمون من ذلك وقال:

أما كانت فاطمة وشهودها يجرون مجرىٰ جرير بن عبد الله وجابر ابن عبد الله، ثمّ تقدّم بسطر الرسالة المشار إليها وأمر أن تقرأ بالموسم علىٰ رؤوس الأشهاد، وجعل فدكاً والعوالى في يد محمّد بن يحيىٰ بن الحسين بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، يعمّرها ويستغلّها ويقسم دخلها بين ورثة فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله نبيّهم[1].

---

(١) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: للسيد ابن طاووس (رض)

وثيقة رقم (٦)

عن يحيىٰ بن يعمر العامريّ قال: بعث إليّ الحجاج فقال[١]:

يا يحيىٰ أنت الّذي تزعم أن ولد عليّ من فاطمة ولد رسول الله ﷺ ؟!

قلت له: إن آمنتني تكلّمت، قال: فأنت آمن، قلت له: نعم، أقرأ عليك كتاب الله، إنَّ الله يقول:

﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلاً هدينا ـ إلىٰ أن قال ـ وزكريّا ويحيىٰ وعيسىٰ وإلياس كلّ من الصالحين﴾[٢]، وعيسىٰ كلمة الله وروحه ألقاها إلى العذراء البتول، وقد نسبه الله تعالى إلىٰ إبراهيم عليه السلام.

قال: ما دعاك إلىٰ نشر هذا وذكره؟

قلت: ما استوجب الله عزّ وجلّ علىٰ أهل العلم في علمهم **﴿لتبيّننّه للنّاس ولا تكتمونه﴾**[٣]، قال: صدقت، ولا تعودنّ لذكر هذا ولا نشره.

← ت ٦٦٤ هـ ص٢٤٨ عن مصادره وعبد المحمود: هو اسم مستعار للسيد ابن طاووس كان يستعمله أيام تأليفه لكتاب الطرائف المذكور.

(١) البحار: ٤٣: ٢٢٨، وعوالم العلوم: ٥٤١ ـ ٥٤٢.

(٢) الأنعام: ٨٤ و٨٥.

(٣) آل عمران: ١٨٧.

وجاء الحديث مرسلاً أطول من هذا، عن عامر الشعبيّ أنهّ قال:

بعث إليّ الحجاج ذات ليلة، فخشيت، فقمت فتوضّأت وأوصيت، ثمّ دخلت عليه، فنظرت فإذا نطع منشور، والسيف مسلول، فسلّمت عليه، فردّ عليّ السّلام، فقال: لا تخف، فقد آمنتك اللّيلة وغداً إلى الظهر وأجلسني عنده، ثمّ أشار، فأتي برجل مقيّد بالكبول والأغلال، فوضعوه بين يديه، فقال:

إنّ هذا الشيخ يقول: إنّ الحسن والحسين كانا ابني رسول الله صلى الله عليه وآله، ليأتني بحجّته من القرآن وإلاّ لأضربن عنقه.

فقلت: يجب أن تحلّ قيده، فإنّه إذا احتجّ فإنّه لا محالة يذهب، وإن لم يحتجّ فإنّ السيف لا يقطع هذا الحديد، فحلّوا قيوده وكبوله، فنظرت فإذا هو سعيد بن جبير، فحزنت بذلك وقلت: كيف يجد حجّة علىٰ ذلك من القرآن؟!

فقال له الحجّاج: ائتني بحجّة من القرآن علىٰ ما ادّعيت، وإلاّ أضرب عنقك.

فقال له: انتظر، فسكت ساعة، ثمّ قال له مثل ذلك، فقال: انتظر، فسكت ساعة، ثمّ قال له مثل ذلك، فقال:

أعوذ بالله من الشيطان الرّجيم، بسم الله الرّحمن الرّحيم، ثمّ قال:

﴿ووهبنا لهُ إسحاق ويَعْقوب ـ إلىٰ قوله ـ وكذلك نجزي المحسنين﴾(١)

ثمّ سكت، وقال للحجّاج، اقرأ ما بعده فقرأ: **﴿وزكرّيا ويحيىٰ وعيسىٰ﴾**، فقال سعيد: كيف يليق ههنا عيسىٰ؟! قال: إنّه كان من ذرّيته. قال: إن كان عيسىٰ من ذرّية إبراهيم ولم يكن له أب بل كان ابن ابنته فنسب إليه مع بعده، فالحسن والحسين أولىٰ أن ينسبا إلىٰ رسول الله ﷺ مع قربهما منه، فأمر له بعشرة آلاف دينار، وأمر بأن يحملوها معه إلىٰ داره، وأذن له في الرّجوع.

قال الشعبيّ: فلمّا أصبحت قلت في نفسي قد وجب عليّ أن آتي هذا الشيخ، فأتعلّم منه معاني القرآن لأنّي كنت أظنّ أنّي أعرفها، فإذا أنا لا أعرفها فأتيته، فإذا هو في المسجد وتلك الدنّانير بين يديه يفرّقها عشراً عشراً ويتصدّق بها.

ثمّ قال: هذا كلّه ببركة الحسن والحسين عليهما السلام، لئن كنّا أغممنا واحداً لقد أفرحنا ألفاً، وأرضينا الله ورسوله ﷺ.

---

(١) الأنعام: ٨٤.

مصادر البحث

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ نهج البلاغة: امير المؤمنين علي بن ابي طالب «ع» شرح محمد عبده ط المكتبة التجارية في مصر.

٣ ـ اصول الكافي: شيخ الاسلام ابو جعفر محمد بن يعقوب الكليني الرازي ت ٣٢٩هـ ط.

٤ ـ الامامة والسياسة: الامام الفقيه ابو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ت ٧٦ هـ تحقيق د. طه محمد الزيني ط مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع/ القاهرة.

٥ ـ تلخيص الشافي : للامام ابي جعفر الطوسي ت ٤٦٠ ط ١٩٧٤/ النجف الاشرف.

٦ ـ شرح نهج البلاغة: لابن ابي الحديد المعتزلي تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ط ٢ دار احياء الكتب العربية ١٩٦٧م.

٧ ـ الكشاف: للامام الزمخشري جار الله محمود بن عمرت ٥٢٨هـ ط دار الكتاب العربي / بيروت.

٨ ـ من لا يحضره الفقيه: الشيخ ابو جعفر الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه ت ٣٨١هـ ط قم ١٤٠٤ هـ

٩ ـ تاريخ الطبري مجلد ١ ومجلد ٢ ط ٣ الاعلمي / بيروت ١٩٨٢م.

١٠ ـ مقتل الخوارزمي للموفق بن احمد الحنفي الخوارزمي ت ٥٦٨ هـ/ قم.

١١ ـ بحار الانوار للشيخ محمد باقر المجلسي ٤٣، ٤٤، ٤٥ مط الوفاء/بيروت.

١٢ ـ المغازي: الواقدي ط ٣ الاعلمي بيروت ١٩٨٩م.

١٣ ـ انساب الاشراف: البلاذري احمد بن يحيى ط ١ الاعلمي / بيروت.

١٤ ـ النص والاجتهاد: الامام السيد عبد الحسن شرف الدين الموسوي ط ٤ ـ ١٩٦٦ الاعلمي / بيروت.

١٥ ـ امالي المفيد: ابو عبدالله محمد بن النعمان الكعبري البغدادي ت ٤١٣ ط جامعة المدرسين / قم.

١٦ ـ مناقب علي بن ابي طالب «عليه السلام»: ابن المغازلي الشافعي ط ١/طهران.

١٧ ـ الغدير: الشيخ عبدالحسين الاميني ط ٤ ـ ١٩٧٧ / بيروت.

١٨ ـ معاني الاخبار: الشيخ الصدوق ت ٣٨١هـ

١٩ ـ المراجعات: الامام شرف الدين الموسوي تحقيق الشيخ حسين الراضي ط نشر توحيد.

٢٠ ـ معالم المدرستين: العلامة السيد مرتضى العسكري مجلد ١ ومجلد ٢ ومجلد ٣ ط ٤ ـ ١٩٩٢م / طهران.

٢١ ـ معالم المدرستين: العلامة العسكري «خلاصة الاجزاء الثلاثة» ط ١ نشر توحيد.

٢٢ ـ الكامل: ابن الاثير الجزري ابو الحسن علي بن ابي الكرم الشيباني ت ٦٣٠ هـ ط بيروت ١٩٦٥.

٢٣ ـ الجمل: الشيخ المفيد ط ١ قم ت ١٤١٣ ط.

٢٤ ـ عوالم العلوم والمعارف والاحوال للمحدث الشيخ عبدالله البحراني: مجلد ١١ (فاطمة الزهراء) ومستدركاتها للسيد محمد باقر الابطحي الاصفهاني.

الفهرست

الموضوع	الصفحة

بعض الكتب صدرت للمؤلف

- الزهراء فاطمة بنت محمد ﷺ طبع في النجف الأشرف عام ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩م «وهو الكتاب الذي فاز بالجائزة الثانية فيالمسابقة العالمية للتأليف عن الصديقة الزهراء عليها السلام التي دعت اليها مكتبة العلمين في النجف الأشرف عام ١٩٦٧م.
- سيرة المصطفىٰ ﷺ طُبع في بيروت عام ١٤١٥ هـ ١٩٩٥م .
- سيرة امير المؤمنين عليه السلام طُبع في بيروت عام ١٤١٥ هـ ١٩٩٥م .
- الإمام الجواد تاسع أئمة أهل البيت عليهم السلام طُبع في مشهد ١٤١٦ هـ ١٩٩٦م .
- الإمامة في الرسالة الإسلامية طبع في قم عام ١٤١٦ هـ ١٩٩٦م .
- آية التطهير دراسة في المداليل والأهداف طبع في قم عام ١٤١٦ هـ ١٩٩٦م .
- العقدة القرشية في حركة احداث التاريخ طبع في قم عام ١٤١٨ هـ ١٩٩٧م .
- التربية الإسلامية : عرض للمبادئ العامة طبع في بيروت ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠م .
- الصديقة الزهراء عليها السلام بين المحنة والمقاومة «هذا الكتاب» .
- ثورة الحسين عليه السلام نظرة في الخلفيات .
- ابحاث في شؤون النهضة طبع عام ١٤١٤ هـ ١٩٩٤م .
- الشهيد محمد باقر الصدر رائد حركة التغيير في العراق .

كتب تحت الطبع

- حديث الغدير «ظروفه ومعطياته الحضارية» .
- أبو طالب الصحابي المفترىٰ عليه .
- أم المؤمنين خديجة بنت خويلد .
- المرأة التي زوجها الله «دراسة وثائقية» .
- الحركة التغييرية عند الإمام الصادق عليه السلام .